صوت الصعاليك
مجلة عراقية إغبارية إلكترونية
Alsaalek Journal
ثقافية سياسية فكرية

على حافة الرصيف

شهد العراق خلال العقدين لما بعد سقوط نظام البعث الدكتاتوري العديد من أخطر النقاط المتداولة. ولا زال غارقا تحت وطأة الأزمات والصراعات السياسية والطائفية، وهناك نقطة مهمة جدا: لم يكن، اي السقوط - هو نفسه - عامل إنتكاسة ما يسمى بناء الديمقراطية في العراق. فالاحتلال أسقط الدولة التي كان يقودها البعث وصدام بالكامل، لكنه لم يأت معه - تلقائيا- بمؤسسات ديمقراطية ومباديء سياسية راسخة. وفي السنوات الأولى تشكل نظام جديد في ظل الاحتلال والعنف والانقسام السياسي، ثم أخذت المحاصصة القومية والطائفية تتحول تدريجيا إلى قاعدة، فعليه لتوزيع السلطة. وتشير دراسات متعددة إلى أن هذا الترتيب السياسي بدأ يتشكل منذ 2003، وأن دستور 2005، رغم أنه لم ينص صراحة على المحاصصة الطائفية، جاء في بيئة سياسية جعلت تقاسم السلطة على أساس الهوية أمرا متجذرا في الممارسة السياسية.

وهنا أصبح على المعارضة العراقية نفسها أن تبدأ اليوم بإعادة النظر ومراجعة سياساتها السابقة واللاحقة وما أحاطها من إشكاليات نظرية وعملية مؤثرة. فالمعارضة التي واجهت نظام صدام لم تكن كتلة واحدة. كان فيها اليساري والعلماني والقومي والديمقراطي، وفيها الإسلامي بمختلف اتجاهاته، وفيها الكردي، وفيها قوى وشخصيات عاشت سنوات طويلة في المنفى. كانت تجمعها معارضة النظام، لكن ذلك لا يعني أنها كانت تمتلك رؤية واحدة للعراق الذي سيأتي بعده. وهذا التفصيل بالغ الأهمية. فالمعارضة، في كثير من الحالات، كانت تفكر في سؤال كيف نسقط النظام؟ أكثر مما كانت تفكر في السؤال الأصعب: كيف نبني الدولة بعد سقوطه؟ وهذا فرق جوهري.

لقد كان من الطبيعي أن يحلم العراقيون بعد عقود من الاستبداد بدولة تقوم على الانتخابات والحريات وحرية الصحافة والتعددية السياسية واستقلال القضاء والمواطنة والمساواة. والأمم المتحدة نفسها، أثناء المرحلة الانتقالية، كانت تتحدث عن فرصة تاريخية لبناء مؤسسات قادرة على ترسيخ الديمقراطية وسيادة القانون وتحسين حياة العراقيين. لكنها - في الوقت نفسه - أشارت إلى أن عملية كتابة الدستور كان يمكن أن تكون أكثر شمولا وشفافية ومشاركة واستجابة لتطلعات العراقيين.

لكن السؤال الذي ينبغي أن نطرحه اليوم هو: أين حدث الانحراف بين الحلم والممارسة؟ ونعتقد أن الإجابة لن تكون في عامل واحد.

هناك الاحتلال وسياساته، وهناك أخطاء المعارضة والقوى التي تولت الحكم، وهناك تفكك مؤسسات الدولة، وهناك العنف والإرهاب، وهناك الصراع الطائفي، وهناك التدخلات الإقليمية، وهناك الفساد، وهناك المحاصصة، وهناك ضعف الثقافة الديمقراطية داخل الأحزاب نفسها، وهناك أيضاً مسؤولية المجتمع والقوى المدنية التي لم تستطع أن تتحول إلى قوة سياسية قادرة على موازنة القوى المهيمنة.

بل إن الانتخابات نفسها، التي كان يفترض أن تكون وسيلة لتغيير الحكومات والسياسات، أصبحت - في كثير من الأحيان - جزءا من آلية إعادة إنتاج النظام السياسي ذاته؛ إذ ظلت عملية تشكيل الحكومات مرتبطة بتوزيع المناصب بين القوى السياسية، وهو ما أضعف ثقة قطاعات من العراقيين بقدرة الانتخابات وحدها على إحداث التغيير.

ثم نصل إلى السؤال الأهم: هل المشكلة في الديمقراطية نفسها، أم في النموذج السياسي الذي جرى تقديمه للعراقيين على أنه ديمقراطية؟

مبدئيا ينبغي التفريق بين الإثنين: العراق لم يفشل لأنه حاول بناء الديمقراطية؛ وإنما لأن الديمقراطية لم تتحول إلى نظام دولة ومواطنة ومؤسسات، وبقيت في جوانب مهمة منها إطارا انتخابيا يعمل داخل بنية محاصصية، وشبكات مصالح سياسية واقتصادية. وهذا استنتاج يمكن مناقشته وتدقيقه، لا أن نفترضه مسبقا.

من ناحية التنوير الإعلامي والسياسي: نحن لا نريد مجرد محاكمة الماضي، بل نريد أن نفهم لماذا ضاعت الفرصة، ومن يتحمل المسؤولية، وما الذي يمكن أن نتعلمه منها إذا أردنا تغيير المستقبل.

المحرر

Alsaalek Journal

"مجلة صوت الصعاليك"
سياسية ثقافية فكرية
غير ملزمة بنشر كل ما يردها

المقالات المنشورة تُعبر عن رأي كُتابها والتحرير غير مسؤولة عن محتواها

2021 جميع الحقوق محفوظة
مجلة صوت الصعاليك

saaleq21@gmail.com
info@alsaalek.de

ساهم معنا في نشر الحقيقة

صوت الصعاليك

SAJ.Sawt Alsaalek Journal
www.alsaalek.de

متابعات

"غربة في أروقة المعرفة"
أين نحن من صناعة التاريخ؟

عادل شريف الحسيني

يحزنني جداً أن نرى بعض أبناء جلدتنا يضيقون ذرعاً بأوطانهم، في الوقت الذي تشيد فيه الشعوب الأخرى أمجادها بالانتماء والمعرفة. منذ أيام، وأنا أعيش أجمل لحظات حياتي متنقلاً في ردهات مكتبة الأرشيف الوطني البريطاني (The National Archives)بين سجلات وتقارير الحكومة البريطانية حول العراق للفترة 1914-1944. هنا، تتجلى لك حقيقة هذا الشعب الذي يعشق تراب بريطانيا؛ حيث يضم هذا الصرح العظيم كافة السجلات، والوثائق التاريخية، والكتب السرية للإمبراطورية البريطانية منذ أكثر من 750 عاماً، محفوظةً بدقة لتبين كيف تُصنع الأمم.

إنها مكتبة مشرعة الأبواب للجميع، ومجهزة بأحدث التقنيات الرقمية لخدمة العلم وصناع القرار. ومنذ أسبوعين، وأنا أتأمل هذا المكان الذي يغصّ بزوار وقراء من شتى بقاع الأرض؛ تراهم من البريطانيين، والهنود، والصينيين، يتسابقون خلف الكلمة والمعلومة. وقبلها، كنت في "المكتبة البريطانية"، "The British Library" ذلك الصرح العلمي المهيب الذي يتراءى للناظر وكأنه مدينة متكاملة تتنفس ثقافة وفكراً. ولابد هنا من الإشادة بدعم مؤسسة قطر للمكتبة البريطانية وتحويل معظم الكتب والمخطوطات إلى الصيغة الرقمية ـ انه عملاً جباراً ورائعاً.

كذلك هناك جهد متميز من دولة الإمارات العربية كذلك في digitisation رقمنة المخطوطات العربية القديمة .

لكن، وسط هذا الزخم المعرفي الهائل، يداهمني سؤال مؤرق ويملأ نفسي بالأسى: لم أرَ عربياً أو عراقياً واحداً في كلا المكانين، على الرغم من الجالية الضخمة التي تسكن لندن! فبماذا نحن مشغولون؟ وما هو دورنا الحقيقي اليوم في إثراء الحضارة الإنسانية؟ إن الأوطان لا تُبنى بالشكوى، بل بالعقول التي تقرأ، وتتعلم، وتترك بصمتها في سجل التاريخ.

ختاماً، وتوجيهاً لشبابنا القادم وسند مستقبلنا: إن العتب لا ينبع إلا من محبة، والأسف على غيابكم عن محافل العلم هو نداء لاستعادة مجدٍ كُنا نحن مَن خطّ أولى حروفه في الناصرية وبابل والكوفة والبصرة وبغداد .

يا شبابنا، إن الغربة الحقيقية ليست في العيش خارج الحدود، بل في التخلي عن دوركم القيادي والمعرفي في هذا العالم. انفضوا غبار الانشغالات الهامشية، واجعلوا من هذه الصروح العلمية وجهتكم وميدانكم؛ فأنتم لا تمثلون أنفسكم فحسب، بل تحملون إرث حضارة عظيمة تنتظر منكم أن تعيدوا كتابة تاريخها بمداد العلم والوعي، لتبرهنوا للعالم أننا كنا، وما زلنا، صناعاً للحضارة والإنسانية.

تعقيب الأستاذ: ناصر الزبيدي

قرأت كلماتك بشيء من التأمل ووجدت فيها وجعا صادقا أكثر مما وجدت فيها عتابا وما رأيته في الأرشيف الوطني البريطاني والمكتبة البريطانية ليس مجرد مكتبات تحفظ الكتب والوثائق بل ذاكرة أمة أدركت مبكرا أن من يمتلك المعرفة والوثيقة يمتلك جزءا من القدرة على صناعة المستقبل.

لكنني أعتقد أن السؤال الأعمق ليس لماذا لم نر عربيا أو عراقيا بين هذه الرفوف بل لماذا لم تتحول المعرفة عندنا إلى مشروع مستمر لصناعة الإنسان والدولة والتاريخ.

نحن أبناء حضارات لم تكن المعرفة فيها ترفا فمن الناصرية وبابل والكوفة والبصرة وبغداد خرجت أفكار وعلوم ونظم تركت أثرا في مسيرة الإنسانية. والمفارقة المؤلمة أن أحفاد أمة كانت تكتب التاريخ أصبح كثير منهم اليوم يكتفون بقراءة تاريخ الآخرين.

ومع ذلك لا أرى أن الطريق يبدأ بالندم على الماضي وإنما باستعادة روح المبادرة أن نقرأ ونبحث ونوثق ونختلف بعقل ونبني مؤسسات تحفظ ذاكرتنا وتنتج معرفة جديدة. فالحضارات لا تستعاد بالشعارات ولا بالافتخار وحده بما صنعه الأجداد وإنما بأن يصبح الأحفاد قادرين على إضافة صفحة جديدة إلى كتاب الإنسانية.

لقد أصبت يا دكتور عادل حين قلت إن الغربة الحقيقية ليست في العيش خارج الحدود وإنما في التخلي عن الدور المعرفي وأضيف إن أخطر أنواع الغربة أن يعيش الإنسان في وطنه لكنه يكون غريبا عن تاريخه وعن المعرفة وعن مسؤوليته تجاه المستقبل.

تحية لك وأنت تذكرنا بأن أمتنا لا تحتاج إلى من يبكي على أمجادها بقدر حاجتها إلى من يعيد بناء جسور المعرفة بينها وبين العالم..

إدارة المجلة:

رئيس التحرير..... عصام الياسري — مدير التحرير..... د. سناء شامي
إدارة..... د. أشواق لطفي — تنسيق ..... ندا الخوام
رسوم..... الفنان منصور البكري — ويب..... فراس الزبيدي
تصميم: كامل عبدالله ... دان ميديا DAN media
تصدر مرتين بالشهر// في أول (1) ومنتصف (15) الشهر.. غير ملزمة بنشر كل ما يردها.

"صوت الصعاليك" عراقية مستقلة حرة...

انطلقت في 01 يناير 2021 من إيمان راسخ بأن الكلمة الحرة هي السلاح الأمضى في مواجهة الظلم والفساد.. وإن ـ على مهنة الصحافة ألا تنحاز إلا للحقيقة وحمل هموم الناس المهمشين، ومن لا صوت لهم .

منذ تأسيسها، حرصت على أن تكون منبرًا حقيقيًا يعكس صوت الشعب ويُعبّر عن همومه وتطلعاته.

«البعد المجتمعي» والاستشراف الحقوقي

يمر العراق بمرحلة شديدة التعقيد، حيث تتشابك أزماته السياسية مع الاقتصادية والخدمية والمجتمعية، في ظل صراعات حزبية حادة، وتدخلات خارجية، وأزمات هيكلية في البنية التحتية. ويأتي ملف المياه والكهرباء في صدارة التحديات اليومية للمواطن، في وقت تُقيَّد فيه الحريات العامة وحقوق التعبير والتظاهر. السؤال: هل تجدي الكتابة باستمرار نفعا ـ لاستعراض ـ أبعاد هذه القضايا وأسبابها وآثارها، مع استشراف سُبل الإصلاح الممكنة.

لا يخفى ان الزبائنية والمحسوبية تُضعف كفاءة الإدارة العامة والأحزاب التي تسيطر على وزارات تُوظّف أنصارها وتمنح عقودا ومشاريع لأشباه شركات مُقرّبة بدلا من اختيار مقاولين كفؤين، فتتدهور جودة البنية التحتية (محطات كهرباء، شبكات المياه، التنمية الاقتصادية، الصناعة).. ومن المعلوم ان غياب المساءلة يؤخّر الإصلاحات ـ إذا ـ حُرم المجتمع المدني والصحافة من الرقابة، وتم ازالة محفزات الاصلاح في عقود الطاقة أو توجيه استثمارات لالتقاط الغاز بدلاً من حرقه. ومقابل الاحتجاج الشعبي لسوء ادارة الدولة ومؤسساتها يزداد القمع وعدم اليقين مما يؤدي إلى دورات متكررة من الاحتقان وعرقلة تنفيذ مشروعات إصلاحية أو جلب استثمارات أجنبية رصينة. فيما تعرض البلد الى هروب الكفاءات من صحفيين وعلماء واساتذة ومهندسين وأطباء ومدراء ذوي الكفاءة مما اضعف قدرة الدولة على معالجة الازمات المتعددة الاشكال وصيانة شبكات المياه والكهرباء وإدارة المشاريع العامة

بالمقابل: تقارير دولية ومحلية توثّق زيادة القيود على الحريات (ملاحقة نشطاء حقوقيين، واعتقالات صحفيين، محاولات تشديد قوانين التجمع والتعبير، غلق أو حظر منصات إلكترونية) ونداءات من منظمات حقوقية للمشرعين لرفض مشاريع قوانين قد تُقوّض الحريات الدستورية.

لم تُتخذ إجراءات لحماية الحريات وفتح مساحة نقدٍ آمن يعتبر شرطا تمكينيا لأي إصلاح فعّال ـ سيؤدي ـ الى مخاطر تفاقم الاحتجاجات، مزيد من القمع، وفشل مشاريع البنية التحتية بسبب عدم الاستقرار السياسي والفساد والمحسوبية.

"مهنة تكرار الأزمات"... ومسؤولية المجتمع أمام السلطة!

تواجه الدولة العراقية تحديات مركبة ناجمة عن الصراع السياسي، الأزمات الخدمية، وتقييد الحريات العامة. وفي ظل هذه الظروف، تصبح مسؤولية المجتمع، ولا سيما النخب المثقفة، وأصحاب الفكر، محورية في مواجهة ممارسات السلطة التي قد تؤدي إلى التفريط بالمصالح الوطنية.

فحين تفرط بعض القوى السياسية في مصالح الدولة، وتختزل الوطن في شبكات نفوذ ومصالح ضيقة، لا يعود الصمت خيارا. فالمواطن العادي، والمثقف، وصاحب الفكر، جميعهم معنيين بالدفاع عن العراق. وعلى هذا النحو يجب على المواطن ان لا يكون متفرجا، بل شريك في رسم المستقبل. ورفضه لثقافة الولاءات والمحسوبية، ومشاركته في النشاطات السلمية تشكل قوة أساسية لإحداث التغيير الحقيقي.

يبقى الأسلحة الحقيقية لإحداث الإصلاح هي: المثقف وصاحب الفكر إلى جانب الإعلام والمجتمع المدني يشكلون بوصلة المجتمع. واجبهم كشف الفساد، فضح أساليب السلطة في تقييد الحريات، وإبقاء الوعي حاضرا. فالمجتمع الذي يسكت نخبه يفقد ذاكرته الأخلاقية.

وسائل الإعلام الحرة والجمعيات المستقلة قادرة على فضح التجاوزات. حين تضاء الحقيقة، تضيق مساحة التلاعب السياسي. فالعراق لن يسترد إلا بإرادة أبنائه. والمجتمع اليقظ هو السد المنيع في وجه التفريط بمصالح الدولة والشعب.

إذن ما هو دور المواطن؟. هل هو شريك سلبي في صناعة التغيير أم؟ دور المواطن لا يتوقف عند التلقي السلبي لقرارات الدولة، بل يمتد إلى ممارسة الرقابة الشعبية عبر آليات ديمقراطية مثل الانتخابات، التظاهر السلمي، والمساءلة. المشاركة الفاعلة ترسخ مفهوم المواطنة، وتدعم الاستقرار المؤسسي.

السؤال الآخر المهم، هل منظمات المجتمع المدني والإعلام قادرة لعب دورا رمزيا لصياغة الخطاب البديل ومواجهة السرديات الرسمية التي تبرر الفساد أو القمع؟. وهل مساهماتهم الفكرية والإعلامية تضمن نقل الحقيقة إلى الرأي العام، وتعزز قيم الشفافية والمساءلة.

تشكل المنظمات المستقلة ووسائل الإعلام الحرة أداة أساسية في فضح الفساد ورصد التجاوزات. دورها يتجاوز التوثيق إلى بناء رأي عام ضاغط يجبر السلطة على تصحيح مساراتها. مثل؛ استخدام الأجهزة والفصائل لتقييد الحريات. تشريع قوانين قد تضيق مساحة التعبير مما يضطر أصحاب الكفاءات والمثقفين إلى الهجرة نتيجة تراجع الحريات.

لهذا فإن الاستشراف لتعزيز وعي المواطنين بحقوقهم الدستورية. ودعم النخب الفكرية وتمكينها من التعبير دون خوف. وبناء تحالفات بين المجتمع المدني، ووسائل الإعلام لحماية المصلحة العامة. ضرورة لا يستغني عنها في المجتمعات التي تتعرض إلى القمع السلطوي، وتضييق الحريات وتكميم الأفواه.

***

ماذا بعد؟..

على جميع القوى والأحزاب السياسية، داخل السلطة وخارجها، التي تدعو إلى تحقيق العدالة المجتمعية وتغيير طبيعة نظام الحكم نحو دولة المواطنة، أن تمارس الضغط السياسي والجماهيري لتحقيق ما تطمح إليه. ذلك يتطلب الدفع باتجاه تحقيق أمرين مهمين:

- المطالبة بإجراء استفتاء شعبي يتعلق باصلاح أربعة أمور:
  - الدستور
  - قانون الأحزاب
  - قانون الانتخابات
  - المفوضية العليا للانتخابات
- من هنا يتوجب على أصحاب الفقه والرأي والفكر والإعلام والثقافة، السعي لتحقيق هذه الأهداف ومحاربة النفاق السياسي بكل الوسائل المتاحة لإنقاذ الشعب والوطن من الضياع وضمان مستقبل أفضل للأجيال القادمة!!

من حلم المعارضة إلى أزمة الدولة..
ومن معارضة الاستبداد إلى إشكالية الحاكمية

بعد أكثر من عشرين عاما على سقوط النظام، تبدو الصورة أكثر وضوحا مما كانت عليه في السنوات الأولى. إذ لم يعد السؤال فقط: لماذا فشلت الحكومات؟ إنما السؤال الأعمق هو: لماذا أنتج النظام السياسي نفسه حكومات عاجزة أو مقيدة في مواجهة مشكلات الدولة؟. فالفساد ليس حادثا منفصلا عن النظام السياسي، وضعف الخدمات ليس مجرد تقصير إداري، والبطالة ليست نتيجة ظرف اقتصادي فقط، وضعف استقلال المؤسسات ليس خطأ موظف هنا أو وزير هناك. إنها جميعا مرتبطة بصورة أو بأخرى بطبيعة الدولة التي تشكلت بعد 2003. ويمكن وصف النظام السياسي العراقي بعد 2003 بأنه نظام تمكنت فيه القوى السياسية من السيطرة على مؤسسات الدولة وتوزيع الموارد والنفوذ، الأمر الذي جعل الإصلاح أكثر صعوبة. وعندما يصبح الإصلاح تهديدا لمصالح القوى المستفيدة من النظام، يتحول الإصلاح نفسه إلى معركة سياسية. وهنا نفهم لماذا تتكرر الوعود الانتخابية، بينما تتباطأ الإصلاحات الجوهرية.

إن مراجعة تجربة ما بعد 2003 لا ينبغي أن تكون دعوة إلى الماضي، ولا تبريرا للنظام السابق، ولا رفض للديمقراطية. على العكس. إنها دعوة إلى إنقاذ الفكرة الديمقراطية نفسها من الممارسات التي أضعفتها. والعراق اليوم بحاجة إلى مراجعة تتجاوز سؤالا: «من المسؤول؟» إلى سؤال أكثر أهمية: ما الذي يجب تغييره؟

إن بناء دولة عراقية حديثة يتطلب إعادة الاعتبار إلى المواطنة باعتبارها أساس الحقوق والواجبات، وإلى المؤسسات باعتبارها ملكا عاما لا ملك للأحزاب، وإلى القانون باعتباره المرجعية التي يخضع لها الجميع، وإلى الانتخابات باعتبارها وسيلة لتغيير الحكم والسياسات لا مجرد وسيلة لتجديد التوازنات القائمة. كما يتطلب الأمر مراجعة العلاقة بين الحزب والدولة، وبين السلطة والسلاح، وبين المال السياسي والمؤسسات العامة، وبين الهوية الوطنية والهويات الفرعية. وهذه ليست مهمة حكومة واحدة، ولا حزب واحدا، ولا طائفة واحدة. إنها مهمة مجتمع كامل.

ربما تكون أهم نتيجة يمكن أن نصل إليها من هذه المراجعة هي أن العراق لم يكن أمام خيارين: صدام أو الفوضى. كان يمكن، وما زال يمكن، أن يكون أمامه خيار ثالث: دولة ديمقراطية حقيقية تتسع لـجميـــع العراقيين. لكن الوصول إليها يتطلب الاعتراف بأن ما جرى بعد 2003 ليس قصة نجاح كاملة، ولا قصة فشل كامل. إنها تجربة تاريخية معقدة فيها مكاسب حقيقية، وإخفاقات عميقة، ومسؤوليات عراقية وأمريكية وإقليمية متداخلة. والأهم أن القوى التي كانت جزءا من المعارضة قبل 2003 مطالبة، مثل غيرها، بمراجعة تجربتها. فقد كان إسقاط الدكتاتورية ضرورة، لكن إسقاط الدكتاتور لم يكن نهاية المعركة، بل كان بدايتها الحقيقية. المعركة الأصعب كانت، وما تزال، بناء الدولة التي لا تحتاج إلى دكتاتورا؛ كي تستقر، ولا إلى محاصصة؛ كي تتوازن، ولا إلى حزب؛ كي تحكم، ولا إلى سلاح خارج مؤسساتها كي تحمي نفسها.

وهنا نصل إلى جوهر المراجعة: لم يكن العراق بحاجة فقط إلى تغيير الحاكم؛ كان بحاجة إلى تغيير مفهوم الحكم نفسه. وإذا كان حلم المعارضة العراقية قبل 2003 هو الخلاص من الاستبداد، فإن مهمة العراقيين اليوم ينبغي أن تكون أوسع: الخلاص من البنية السياسية التي جعلت الدولة رهينة لتوازنات القوى الداخلية والخارجية، والانتقال من ديمقراطية تقاسم السلطة إلى ديمقراطية بناء الدولة والمواطنة. ذلك هو الامتحان الذي لم يحسم بعد.

العديد من قوى المعارضة العراقية العلمانية والقومية واليسارية والكردية، كانت قبل غزو العراق تتحدث عن التزامها إذا ما سُقط نظام صدام احترام مبدأ حقوق الإنسان وحرية الرأي والتعبير والتعددية السياسية ونتائج الانتخابات وتداول السلطة، والعدالة الاجتماعية. بدورها القوى الإسلامية الشيعية التي تشكل واحدة من أبرز القوى التي دخلت المشهد الجديد، وهي تحمل، قبل سقوط النظام، خطابا سياسيا يقوم في جانب منه على مواجهة الاستبداد والدفاع عن المظلومين والمحرومين والمطالبة بالعدالة وإقامة نظام سياسي أكثر إنصافا. لم يكن هذا الخطاب مختلفا في جوهره عن طموحات قطاعات واسعة من المعارضة العراقية، التي كانت تريد عراقا يتخلص من الدكتاتورية، ويؤسس لنظام ديمقراطي يضمن المشاركة السياسية والحريات العامة. لكن المشكلة بدأت عندما انتقلت بعض هذه القوى من موقع المعارضة إلى موقع السلطة. ف "الحاكمية الشيعية" وضعت نفسها خلال السنوات التي أعقبت سقوط النظام أمام اختبار لم يكن سهلا. إذ انقلبت على كل وعودها، وضربت القانون والدستور الذي كتبته بيدها عرض الحائط مما جعل العراق ومصالحه الوطنية والمجتمعية والسياسية والخدمية والاقتصادية والأمنية في أسوأ أحوالها... فالمعارضة كما يتبين من مشروعها السياسي شيء، والحكم شيء آخر.

اللحظة الراهنة، وفي ظل الظروف المعقدة التي تمر بها منطقة الشرق الأوسط، والعراق على وجه الخصوص بسبب الحرب الأمريكية الإيرانية، وتصاعد المطالبة بمحاربة الفساد وحصر سلاح الفصائل بيد الدولة، تجعل بعض القوى السياسة الشيعية، ومنها عدد من الفصائل المسلحة، المشكلة أخطر بكثير؛ وتنظر لوجود فصائل عراقية مسلحة مرتبطة بإيران شأنا لا يعود عراقيا داخليا، بل جعل الأراضي العراقية ساحة للصراع الإقليمي والدولي. مما يفقد العراق، وتوجه حكومة رئيس الوزراء علي الزيدي فرصة نادرة للخروج من أزماته المتعددة، متحججين بذرائع واهية، أو ربطه بشروط سياسية. فكيف لنا أن نربط بين كل هذه المواقف، وما سيواجه العراق من أخطار آنية ومستقبلية بسبب رفض التخلي عن السلاح؟

جداريات من ذاك المكان

أضواء ..
" المأساة العراقيةِ دونَ حلولٍ جَدية "

النفوذ السياسي يترك أثره على الأزمات

«الأزمة الاقتصادية والمالية»

يعتمد الاقتصاد العراقي بشكل شبه كامل على الإيرادات النفطية، وهو ما يجعله هشاً أمام تقلبات أسعار الطاقة. أكثر من 90% من الموازنة العامة مصدرها النفط، في حين أن القطاعات غير النفطية (الزراعة، الصناعة، الخدمات) لا تساهم إلا بنسبة محدودة. هذا الوضع يضع المالية العامة تحت ضغط كبير، خاصة مع تضخم فاتورة الرواتب والدعم الحكومي، في مقابل ضعف الاستثمار في البنية التحتية. نتيجة لذلك، تظل الحكومة عاجزة عن تلبية المطالب الخدمية الأساسية أو تمويل مشاريع تنموية طويلة الأجل.

«أزمة الكهرباء»

رغم أن العراق يمتلك ثروات نفطية وغازية كبيرة، إلا أن العجز الكهربائي بات سمة ملازمة منذ سنوات. الأسباب متعددة: قدم المحطات والشبكات، الهدر في التوزيع، والاعتماد على استيراد الغاز من دول الجوار (خصوصًا إيران). المفارقة الكبرى أن العراق يحرق كميات هائلة من الغاز المصاحب لإنتاج النفط بدلاً من استثماره في توليد الكهرباء. كل ذلك يترجم إلى انقطاعات يومية تؤثر في حياة الناس وتشلّ الاقتصاد.

«أزمة المياه»

تفاقمت أزمة المياه بسبب تغير المناخ والجفاف من جهة، وبفعل السياسات المائية لدول المنبع مثل تركيا وإيران من جهة أخرى. بناء السدود وتقليص التدفقات المائية قلص حصة العراق من نهري دجلة والفرات، ما أدى إلى تراجع حاد في الزراعة وارتفاع نسب الملوحة في الجنوب. ضعف الإدارة المحلية للمياه واعتماد طرق ري تقليدية يزيدان الطين بلة. النتيجة: تهديد الأمن الغذائي وهجرة سكان المناطق الزراعية..

إلى جانب أزمات الخدمات وانعدام الكهرباء والمياه، يعاني العراقيون من تراجع الحريات العامة. فالتظاهرات التي تشهدها البلاد منذ بدء الصيف واجهت في أحيان كثيرة قمعا أمنيا وتهديدات من قوى مسلحة، كما حاولت بعض الأطراف تمرير قوانين تقيد حرية التعبير والإعلام. هذا التراجع في الحقوق الأساسية يُضعف فرص الإصلاح، إذ لا يمكن معالجة الفساد أو سوء الإدارة في غياب صحافة حرة ومجتمع مدني قوي.

ـ ظروف المرحلة وما يحيط العراق من مخاطر تقتضي إجراء إصلاح سياسي وهيكلي يبدأ:

ـ إنهاء نظام المحاصصة، وتعزيز استقلال القضاء، وحماية حق التظاهر والإعلام. إدارة رشيدة للموارد واستثمار الغاز المصاحب وتنويع الاقتصاد بعيدا عن النفط، تبني سياسات زراعية حديثة لترشيد استهلاك المياه.

ـ ترشيد بنى تحتية مستدامة وتطوير شبكات الكهرباء، تسريع مشاريع الطاقة المتجددة، وإطلاق مشاريع استراتيجية لتحلية المياه في الجنوب.

ـ تفاوض جاد مع دول المنبع لضمان حصص عادلة من المياه للعراق.

ـ تمكين المجتمع المدني :إشراك منظمات مستقلة في الرقابة على العقود العامة ومشاريع الخدمات.

الأزمات العراقية ليست مجرد إخفاقات فنية في إدارة المياه والكهرباء، بل هي نتيجة مباشرة لنظام سياسي مأزوم وهيمنة مصالح حزبية على حساب المصلحة الوطنية. الإصلاح يتطلب إرادة سياسية شجاعة تترافق مع حماية الحريات العامة، لأن معالجة مشكلات الخدمات لا يمكن أن تنجح في ظل تغييب أصوات المواطنين ومؤسسات الرقابة. العراق أمام مفترق طرق: إما الاستمرار في دوامة الأزمات، أو الشروع في إصلاح شامل يعيد الثقة بين الدولة والمجتمع.

فالدولة العراقية تواجه تحديات مركبة ناجمة عن الصراع السياسي، الأزمات الخدمية، وتقييد الحريات العامة. وفي ظل هذه الظروف، تصبح مسؤولية المجتمع، ولا سيما النخب المثقفة وأصحاب الفكر، محورية في مواجهة ممارسات السلطة التي قد تؤدي إلى التفريط بالمصالح الوطنية.

» العراقُ ؟... في حَضْرة آراءِ المُواطنينَ«

ايهاب شغيدل

من يريدنا أن نبقى كما عرفنا منذ عقد فهو أحمق.
من يريدنا أن نستمر على الفكرة نفسها طوال حياتنا، فهو روح متحجرة لا تتفاعل مع المتغيرات.
من يعتقد أن كل تحول بشري، أو انتقال فكري، هو مادي فقط، فهذا لا يعرف من الحياة سوى المادة.

ذلك لا يعني أن كل تحول هو نفسي وفكري وروحي، بعض التحولات سببها الفلوس بالتأكيد. لكن من لا يقبل تحولات الإنسان، لا يعرف الإنسان نفسه.

أعرف الكثير من العراقيين بدأوا حياتهم بعثيين، ولاحقا أصبحوا شيوعيين. وبعدها دخلوا في موجة التدين، وعن قناعة راسخة.

وين الغلط بالقصة؟

اختصار تحولات الناس بالفلوس هو حكم يجنبنا الفهم.

يميل العقل البشري لما هو سهل فيما يخص الآخرين. العقل يصير كسولًا مع الآخر، ويحب الكسل ويتبناه كسلوك، ويتجنب التحليل العميق لأنه من ممكن أن يسبب ألما، ويتطلب مجهودا يستهلك طاقة، وممكن يشد الأعصاب. إلخ.

ربط الأحداث وتحليل مجموعة كبيرة من المعلومات، وفهم سياقاتها، للخروج بنتيجة لا تعنيه، عملية معقدة. وعقلنا، للأسف، مهيأ لفعل ذلك فقط من أجلنا.

بكل هاي المعلومات والتحليلات، نريد نوصل إلى نتيجة. هاي النتيجة مو مهمة أو غير مفيدة إلنا، وما تخصنا، وما تتعلق لا بمواردنا ولا بخطر يداهمنا، فليش يسوي العقل عمليات معقدة حتى يستنتج؟

العقل، حين لا يريد أن يستهلك طاقته بسبب الآخرين، لديه مجموعة حيل، أبرزها: إطلاق حكم على الناس، لأنه ببساطة أسهل من محاولة فهمهم، وفهم سياقهم الاجتماعي والظروف الثقافية والسياسية والنفسية التي من الممكن تكون مفتاحا لفهم هالإنسان. هذا فضلًا عن أنه أي العقل لا يملك المعلومات الكافية عن تاريخهم النفسي وطبيعة حياتهم وطفولتهم وتجاربهم المريرة.

الفهم والتحليل يحتاج، إلى معلومات وافية وكثيرة عن الآخر، ومن ثمة ربط هذه المعلومات عن الشخص المعني بكمية كبيرة من المعلومات تخص الفهم العام للنفس البشرية، وتناقضاتها، وإرهاصاتها، وأيضًا كمية كبيرة من التسامح والمروءة واللطف.

لذلك، تلاكي الناس ليل نهار تطلق أحكامًا على بعض. اختصار الناس في حكم معين هو أمر يمكن لأي شخص أن يفعله. لا يحتاج جهدا من العقل، ولا يحتاج معلومات يبحث بيها. هو يلتقط شيئًا محددًا، يعتبره نمطًا، ويروح يقول ببساطة: فلان كذا.

بناءً على ذلك، عقلنا العزيز يقدر يستوعب أكبر عدد من غرائزنا، بل كلها، الغريب منها والشاذ والعجيب، الجنسية والعنيفة. يستوعب عقلنا كل تناقضاتنا ومشاكلنا النفسية، ويحاول قدر الإمكان يخليها بسياقها، ويلاكي تبريرات لأخس أفعالنا وأكثرها فضاعة ووضاعة. ببساطة: عقلنا مشغول بينا، مو بالآخرين.

لذلك هو المسكين لا يقدر أن يفعل عمليات معقدة من أجل الآخرين، لا يقدر ببساطة. عقلنا ما مصمم حتى يكعد ليل نهار يبرر أفعال الآخرين، ولا مدرب حتى يكعد يلاكي أسباب لأبشع سلوكيات الآخرين، ولا عنده خلك يكعد يبرر تناقضات وتحولات الآخرين، هو يقدر يبرر إلنا إحنا فقط.

لذلك، حتى يجنبنا التعب، وجد طريقة مناسبة للحل: إطلاق الحكم. وعادة إطلاق الحكم مرتبط بشيء مادي، يستبعد كل ما هو غير مادي. وما يحتاج له روحة للقاضي. أمر سهل. العقل يسويه بدون ما يفقد سعرة حرارية واحدة على عباس ابن الخياطة، يقول عنه: سرسري. وينتهي الملف.

تعليقات القراء:

Wallada Bint Almustakfy

أكو أنماط واضحة، وترصد باستمرار، مو صحيح تمويه كل تحولات المواقف وخلطها بهذه الطريقة.
أدوات بسيطة ممكن تساعد بتشخيص هذي الانماط مثل تتبع حركة الأموال وسياسات أصحابها، تكدر تشوف تحولات واضحة باتجاه مصادر المال والنفوذ بوقت واحد، والتوقف عن نقد المجرم اللي كان قبل فترة قليلة الهدف الأول للنقد، والبدء بالتنظير لحاجتنا لوجوده.. اعتقد من احترامنا لعقولنا أن ما تمر علينا هاي التحولات الدراماتيكية كأنها نتاجات تأمل ودراسة.

Mohammed Majid Kadhim

چا هو التحوّل الفكري والبشري يصير بين النقيض والنقيض ؟ يعني عادي تشوف ابو درع يشتغل مترجم ويه الامريكان ؟ التحول لما الانسان يفكّر يحسنّ وضعه المادي او ينتقل لمرحلة فكرية او ثقافية افضل (وهاي ما تشمل صديقك الي كاتب البوست علموده) بس مو تشوفه بأقصى الغرب ينادي بالليبرالية والعلمانية ودعم الحقوق والحريات والحركات المدنية ووره شوية تلگاه صار ولائي اكثر من مجتبى خامنائي!
چا هي هيج يا خالي ؟

علي الأعرجي

تعليق "التوبة" على شماعة التغيير الفكري، لا تصح.. والا سنكون مطالبين باحترام التغير الفكري لغيث التميمي مثلا!

هناك حدود اخلاقية لا مجال فيها لادّعاءات تغير الافكار، وبعيدًا عن اسباب التغيير واتهامات الكي كارد، هناك عار واضح، بغض النظر عن اسبابه، عار تنظيف الدماء عن يدٍ ملوثة.

Hasan Mudhafar

إيهاب بالنسبة للمثال الذي أوردته، هل هناك اسلامي أو بعثي تحول إلى شيوعي؟
اعتقد ماكو ولو فكرت طويلا فأيضا لن تجد.. وأثق بعقلك الذي يدرك تماما "لماذا؟.."

Manar Yousef

والله أعتقد بالعراق الموضوع مو بهل تعقيد ، غالباً الفلوس ، السلطة والقبول هي تحرك كل شيء...

آراء حرة

محاولة إيران توريط عُمان في الحرب

الغزالي الجبوري

ت: من الفرنسية أكد الجبوري

دونالد ترامب يهدد الآن بمهاجمة عُمان. في حال تورطها بالتعاون مع إيران في الحرب. لذا تتعرض عُمان "الوسيط الدوبلماسي" من تصعيد الخطاب إلى تهديد من ترامب. إذ أفادت التقارير أن الرئيس الأمريكي أبدى استعداده لقصف عُمان. إذا وقفت في طريقه أو تدخلت في تعاونه مع إيران؛ بشأن سيطرته المزعومة على مضيق هرمز. بعد أن انتهت صلاحية مذكرة التفاهم بين الولايات المتحدة وإيران.

المعطيات العلمية والتعليمية للمقالة:

1 . كيف إذا سيطرت الولايات المتحدة على هرمز لدرجة التفكير في ضمها، بل

2 . ماذا لو كان "رفع المستوى الخطابي" للتهديد فقط؟ لكن

3 . كيف أذا أخذ أنعكاس استراتيجية الخطاب. أهمية. لجعل حال توصل إيران وعُمان إلى اتفاق. سيكون بلا قيمة.؟

انتهت صلاحية مذكرة التفاهم بين الولايات المتحدة وإيران.() وكان من المفترض أن تبدأ الاتفاقية، الموقعة في يونيو/حزيران، فترة وقف إطلاق نار تُتوّج باتفاق سلام في 18 أغسطس /آب، بعد مراحل عديدة من المفاوضات.()

نظرياً، كانت الولايات المتحدة تقدم تنازلات لإيران بالموافقة على تقديم تعويضات حرب كبيرة - أُعيد تسميتها بصندوق إعادة إعمار - ورفع العقوبات، وفك تجميد أصولها الخارجية، والضغط من أجل وقف إطلاق النار في لبنان، ورفع الحصار البحري، وسحب قواتها من الخليج العربي.()

كان من المفترض أن تتخلى إيران تماماً عن مخزونها من اليورانيوم المخصب، والذي يُفترض أن يُخضع لعملية تخصيب تحت إشراف دولي داخل حدودها. ولكن لتحقيق السيناريو الذي يرغب فيه دونالد ترامب، كان لا بد من تنفيذ المراحل الأولية للاتفاقية(). بعد التجارب الفاشلة في غزة ولبنان، كانت هناك أسباب عديدة تدعو للاعتقاد بأن هذه المرحلة لن تُبلغ أبدًا في ظل هذا الإطار.

وهكذا كان الحال. فمنذ يوليو/تموز، شنّ ترامب هجومًا جديدًا على إيران بعد حرمانها من حق السيطرة على مضيق هرمز.() لم يعد الأمر مقتصرًا على البرنامج النووي فحسب، بل أظهر البيت الأبيض، على أقل تقدير، نيته القتال من أجل هرمز أيضًا.()

مُنحت إيران سيطرة غير واضحة المعالم على العبور في مذكرة التفاهم. من حيث المبدأ، كان من المقرر ضمان حرية الملاحة لمدة شهر، لكن في نهاية المطاف، ستبقى إيران هي الجهة المسؤولة عن إدارة الممر المائي مستقبلًا. في ذلك الوقت، سعت الجمهورية الإسلامية إلى التفاوض مع عُمان لإنشاء آلية إدارة مشتركة.

إلا أن الولايات المتحدة كانت لديها خطط أخرى. فقد كشف ترامب أن الولايات المتحدة ساعدت في تنظيم مغادرة العديد من السفن من الخليج العربي حتى قبل توقيع الاتفاقية، بهدف تخفيف حدة التوترات في أسواق الطاقة العالمية.

كان من المقرر أن يشمل هذا المسار تعاون عُمان، الدولة الأخرى المطلة على الخليج. وبإبحارها على طول الساحل العماني، كان بإمكان الولايات المتحدة الالتفاف على الحصار الإيراني. فمنذ اللحظة التي بدأت فيها إيران وعُمان محادثات لحل الأزمة، كان ترامب يضع نصب عينيه الدولة العربية. حتى قبل توقيع اتفاق وقف إطلاق النار مع إيران، كانت التهديدات الأولى بمهاجمة عُمان قد صدرت من البيت الأبيض.

لكن الآن، ومع سعي الدول العربية الحثيث لإيجاد بدائل أمنية للولايات المتحدة، وإدراكها أنها ستضطر، بعد انتهاء الحرب، إلى التعايش مع إيران التي قد تكون أكثر تطرفًا من ذي قبل، فإن البراغماتية هي السائدة.

وقد صعّدت السعودية ضغوطها ضد الحرب، وسعت إلى إيجاد شركاء عسكريين بديلين في تركيا وباكستان. وسلكت الكويت مسار التقارب مع باكستان.() وشهد الأردن والبحرين تهديدًا لمواقعهما بسبب عـــلاقاتهما

مع إسرائيل.() ويقترب العراق من إتمام الانسحاب التاريخي للقوات الأمريكية من أراضيه.() وحتى الإمارات العربية المتحدة، الشريك الرئيسي لإسرائيل، تسعى إلى إقامة تطبيع واضح مع إيران بعد أن تحملت وطأة الرد الإيراني.()

لم تُعرف عُمان قط بالعداء لإيران الذي أبدته بعض الأطراف الأخرى المذكورة. وإذا كشف دونالد ترامب، بالإضافة إلى ذلك، عن تواطؤ السلطات العُمانية في الالتفاف على سيطرة إيران على مضيق هرمز()، فمن المنطقي أن يضعف موقف عُمان أكثر في ظل جمود الحرب.

في الواقع، لطالما كانت عُمان الوسيط المُفضّل لكل من إيران واليمن، بل وأكثر أهمية من الأدوار المحورية التي لعبتها باكستان وقطر وتركيا ومصر في حرب 2026().

مع ضعف الولايات المتحدة الملحوظ في حربها ضد إيران، وافتقارها لاستراتيجية خروج واضحة أو أهداف محددة، شعرت إيران بالجرأة لمهاجمة السفن التي تجاهلت سيطرتها على مضيق هرمز. إلا أن هذه الحوادث أثرت على طريق عُمان المؤدي إلى الخليج العربي. ولهذا السبب، تسارعت المفاوضات بين إيران وعُمان بشكل ملحوظ خلال الصيف.

أفادت التقارير أن دونالد ترامب، عبر قناة فوكس نيوز()، وجّه مجدداً انتقادات حادة لسلطنة عُمان، عقب إعلان إيران عن نتائج إيجابية في المحادثات المتعلقة بالإدارة المشتركة لمضيق هرمز.() ويُزعم أن الرئيس الأمريكي ألمح إلى استعداده لقصف عُمان إذا وقفت في طريقه أو تدخلت في هذا التعاون في السيطرة التي يدّعي ترامب امتلاكها على مضيق هرمز.()

تتمة ص التالية

لا أعرفه.. لكن منشور الأستاذ عبد الاله الفهد ايقظني .. فتألمت لحال صاحب الشأن في زمانه..

المحرر

عبدالإله الفهد

(ظرفاء المجانين) عبدالنبي

يرتدي دائما دشداشة زيجها مفتوح فيكون اعلى بطنه بائنا للناظر ..يدور على محوره وقت مايعجبه ويداه للاعلى وهو يصيح :اعلياوي ..هلا هلا اعلياوي .تنفحه شيئا او لا تنفحه لا يبالي.. فهو لا يمد يده .اختار عبدالنبي العيش في سوق الصرافية (سوق السمچ) عندما كان في قطاع 52 قبل ان ينتقل برمته الى قطاع53مجاورا لجامع الرسول نهاية السبعينيات ليمسي مكانه خاليا الا من بقاياه : قمامة واوتاد وخرق قماش تالفة وذكرى.

وعبدالنبي عاش مثل القط الاليف في هذا السوق ..يرمي له الباعة ما يسد رمقه ..وينام في ظلال دكاكينه حين يداهمه النعاس .ما اكثر مانراه ايام صبانا حين يخطر بباله ان يأخذ زمنية من نفسه ويترك السوق قليلا الى الشارع العام ..يرانا فيدور على محوره ..ازرق العينين ..قصيرا .. ناحلا ..بادي الاضلاع واعلى البطن . مات عبدالنبي منذ بضع سنين . شاهدته بالصدفة مطلع العام الفين شيخا طاعنا في التعب رث الثياب ..لمحت الى جانبه عكازا.. يجلس على حجر قرب مستشفى الاطفال سابقا-الصدر العام حاليا-جلسته اقرب للاضطجاع يبدو ان عظامه امست مهشمة فلاتعينه حتى على الجلوس .وقفت قبالته ودرت حولي وضربت كفا بكف وترنمت له :اعلياوي..هلا هلا ..اعلياوي.
حدق بي بعينين ذابلتين وابتسم ..ثم دمعت عيناه.

وكتب حسنين عبد الأمير يتسائل:

وين لگيت هاي الصوره لعبد النبي ووين رجعتنه.استاذ عبد الإله صديقي من زمن الطفوله في المرحله الابتدائيه كم اشتاق لمرحلة الصبا لـــكن استحالة أن يعود. الزمن إلى الوراء تبقى فقط ذكريات لا يمكن نسيانها تحيه طيبه لأخي عبد الإله دواي الفهد (عبد الامير بهلول) إذا تتذكرني أما زالت ذاكرتك متقده واتمنى ذلك

ابوعلي الشويلي الشويلي

رحم الله عبدالنبي كان فاقد العقل لكن بقيت صورته وذكراه في ذاكرة من عرفه العبرة أن الإنسان مهما اختلف حاله يبقى له نصيب من الرحمة والكرامة والدنيا لا تدوم لأحد.

جبار السدخان

ابو ايوب العزيز للمدينة التي عشناها معاً لها وجهان الاول حزين من جراء الفقر والجوع والحزن والمطاردة ومحاربة كل مايمكن ان يكون (جميلاً) والوجه الاخر (الاكثر حزناً) الذين تمثلة تلك الوجوه التي في الذاكرة (كمساكين) رحمهم الله جميعاً وامدك الله بالصحة والعافية والعمر المديد العزيزوعذراً للاطالة.

عبدالجليل النداوي النداوي

تحياتي استاذي العزيز للاسلوب السلس والرصين في دقة الوصف للشوخص والاماكن تفوق كبار المخرجين عندما يقدمون عملا فنيا ما
فارجو توضيف ذالك في اعمال فنيه على شكل افلام او مسلسلات اوتاليف كتاب اومجله للتوثيق لانها تراث ولمحات من زمن ماض تندثرفيه معالم وشخوص كان لها صدى في يوم ما مع الشكر والتقدير. وانا ممتن هذه المره الثانيه اقرأ في ماكتبت واتشرف بذالك.

محاولة إيران توريط عُمان في الحرب...

وقد تصاعدت حدة خطاب دونالد ترامب بشأن هذه القضية بشكل كبير في الأيام الأخيرة، حتى أنه، دون أن يغفل عن ضرورة هيمنة الملف النووي على جميع عناوين أخباره المتعلقة بإيران، بدأ يتحدث عن إمكانية إعلان هرمز أرضاً أمريكية.

في منشورات متكررة على وسائل التواصل الاجتماعي ومؤتمرات صحفية، طرح ترامب هذا الخيار باعتباره واقعيًا.() ويستند في حجته إلى السيطرة التي يدّعي ممارستها بفضل الحصار البحري الثاني الذي فرضه على إيران هذا العام. لكن أسعار النفط لا تزال ثابتة، فلا هي في ارتفاع، نظرًا لعدم عودة الحرب الإقليمية، ولا هي في انخفاض، نظرًا لعجز الطرفين عن التوصل إلى اتفاق.

ومع اقتراب انتخابات التجديد النصفي، بدأ ترامب يدرك أنه لن يتمكن من حل هذه الأزمة في الوقت المناسب، لذا فهو يُلمّح إلى إمكانية استمرار الوضع طالما كان ذلك ضروريًا لضمان عدم حصول إيران على أسلحة نووية. ()وهكذا نجد أنفسنا على أعتاب نهاية ستة أشهر من الصراع في إيران.

ولا يزال الضغط في واشنطن قويًا. وينقل البيت الأبيض هذا الضغط إلى الشركاء الدوليين الذين لم يرغبوا في الدخول في صراع مع إيران، كما حدث مع الإجراءات الانتقامية ضد العديد من الدول الأوروبية وكوريا الجنوبية.() في الوقت نفسه، تتعرض عُمان للتهديد، ويتصاعد الخطاب بشأن السيطرة على مضيق هرمز.

أخيرًا. إذا سيطرت الولايات المتحدة على مضيق هرمز لدرجة التفكير في ضمه، ولو على الصعيد الخطابي فقط، فلا ينبغي لها أن تُبالي بتوصل إيران وعُمان إلى اتفاقٍ عديم الجدوى.

لا تزال تفاصيل الاتفاق غير معروفة، لكن يُقال إنه يتضمن فرض رسوم على خدمات بديلة عن الرسوم التقليدية، متجاوزًا بذلك قيود القانون الدولي، وسيطرة إيران على الدخول، حيث تتولى الأخيرة إدارة مغادرة السفن عبر الممرات المشتركة.

آراء حرة

علمانية العميان وعقيدة الوجدان

د.سناء شامي *

لماذا صرنا نخاف من كلمة الدين و كأنها تهمة؟؟؟ و لماذا الأغلبية تحب هذه الكلمة بعصبية و تعصب و جهل و كأنها عقد ملكية لشيئ مادي؟ لماذا بعض المثقفون العرب يهاجمون الدين و يحملونه أعباء فشل حكوماتهم و خبث السياسة الدولية؟ هل بمهاجمتهم للدين تتحقق العلمانية؟ لماذا يطالبون بفصل الدين عن الدولة بروح الإتهام، دون أن يوضحوا معنى الفصل، و كيفيته و آلية تطبيقه؟ هل حقا المجتمعات العربية يحتاجون لهذا الفصل؟ و ما علاقة الدين بالإيمان؟ و ما علاقة الفرد بالدولة إن كان من غير إيمان، هل ستكون علاقته بها متوازنه و مسؤلة؟ وهل ينفع دين أين كان، من غير إيمان؟ الإيمان هو المستهدف، بغض النظر عن اسم الديانة. الآيه القرآنية (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) تؤكد على أهمية العقل و بأن التقوى بالدرجة الأولى هي صحة الفكر و صلاح الفعل... و الرسول الكريم قال لا فرق بين عربي و أعجمي إلا بالتقوى، و لم يذكر كلمة مسلم أو مسيحي. يجب أن نتحدث بمنطق العقل عندما نتحدث عن العقيدة و أيضا عندما نتحدث عن العلمانية: فالأولى أي العقيدة توحد الأديان، والثانية، أي العلمانية تفرق بين الأديان لتفتيتها و تفرق بين الدولة و القوانين الإلهية و تجعل الفرد عبد لآلية قوانين لا روح فيها و مليئة بالثغرات التي يستطيع استغلالها محترفين القانون و تشريعه... قراءة ما بين السطور، جدا ضروري في هذه المرحلة، هذا أولا...أما ثانيا: إذا نظرنا إلى فهم العلمانية تحت ضوء التاريخ المعاصر للعرب سنكتشف الفخ العميق الذي يستهدف هويتهم، عقيدتهم و حتى سياسات دولهم : 1895 بناء أول دولة عربية حديثة مع محمد علي باشا، في 1820 ضم السودان لمصر، أيضا بنفس العام تمت الحماية البريطانية على ساحل الإمارات، في عام 1830 استعمار الجزائر، في عام 1860الحرب الأهلية اللبنانية الأولى، في 1880 الحماية البريطانية على البحرين، في عام 1881 احتلال تونس، و في 1882 احتلال مصر، أما في عام 1899 تـمت الحماية البريطانية على الكويت، في عام 1911 احتلال ليبيا، و في عام 1912 تقسيم المغرب بين الاستعمار الفرنسي و الإسباني، أما في عام 1916 حدثت الحماية البريطانية على قطر، و اتفاقية سايكس بيكو. في عام 1917 تم احتلال العراق، و وعد بلفور ثم في عام 1920 كان الانتداب البريطاني الفرنسي على سوريا و لبنان و العراق و فلسطين، و في عام 1924 تم سقوط الدولة العثمانية...

في عام 1932 قيام مملكة السعودية و معها تأسس الفكر الوهابي برعاية انكليزية، و في عام 1939 ضم لواء اسكندرون السوري إلى تركيا، بينما في عام 1941 ثورة الكيلاني في العراق، و في 1946 استقلال سوريا و لبنان و تبعه إعلان الإحتلال الصهيوني لفلسطين في 1948، و في عام 1951 سقط الحكم السنوسي الملكي في ليبيا... منذ هذا التاريخ و حتى بدايات السبعينات توالت عمليات الإستقلال الشكلي عن الإستعمار، و قد كان أغلب عمليات هذا الاستقلال بإدارة إنكليزيه أو فرنسيه أو من خلال موالين لهم... تلت هذا الإستقلال فورا ثورات في زنجبار و اليمن و حربي1967 و اكتوبر 1973 ضد اسرائيل... في عام 1975 نشئت حرب أهلية لبنانية ثانية و مفتعلة، و في عام 1979 كانت اتفاقية كامب ديفيد، و أيضا حرب الخليج الأولى بين العراق و ايران قامت في عام 1980، أما في عام 1982 حدث غزو اسرائيل ضد لبنان، وفي عام 1989 أنشئوا حرب أهلية ثالثة في لبنان... أما في 1990 دفعوا العراق إلى غزو الكويت، و حصل في عام 2003 الغزو الأمريكي للعراق، غزو سريع آخر في 2006 على لبنان. في عام 2011 انفصال جنوب السودان عن شماله، و بذات العام انقلاب مدروس في تونس، أسموه ثورة الياسمين، و بنفس العام بدأت الحرب على سوريا و مازالت... إذا، قبل سقوط الدولة العثمانية و ما بعد سقوطها شغلوا المنطقة بأسرها بالحروب و الانقسامات ، و أدخلوا ضمن الفكر العربي المتعب من الحروب و المذهول من التغيرات الجذرية في المنطقة، فكرة العلمانيه الغريبة في ماهيتها عن ثقافة العالم العربي و عاداته. و للأسف الكثير من المثقفين العرب انخدعوا بها دون أن يفهموا عمقها و خفاياها و غاياتها، و البعض باع نفسه وحولها لسكين مخرب... نعم نحن نحتاج للحداثة، لكن منظوم الحداثة يجب أن يكون شامل و مدروس و غير هدام لجذور ثقافة المنطقة بما فيه الحفاظ على الجانب العقيدي الأخلاقي و على الابتعاد عن استعمال الدين كسلاح سياسي، فالإيمان لا علاقة له بشكل الدين، و أول خطوات الحداثة تكمن في قمع الفكر الطائفي الهدام، فجميع الأديان مضمونها واحد، ألا و هو الحياة الكريمة للإنسان... الطامة الكبرى اليوم هي أن الأغلبية تنادي بالعلمانية و بفصل الدين عن الدولة، دون معرفة جيدة و شاملة بدور الاثنين في قيادة مجتمع سليم و متصالح مع نفسه و مع تراثه. الحياة مزيج متماسك من كل مكوناته: الحضارات العظمى السابقة مرورا باليونانية و الرومانية كانت الدولة مبنية على مفهوم الآلهة كرمز للسلطة، و لربط المجتمع و علاقته بالسلطة كان يتم من مفاهيم و طقوس دينية... ولكن كما يقول الشاعر الدمشقي نزار قباني:

"يا شعبي الطيب يا شعبي، قتلتك سكاكين الكلمات."

** لعبت الإمبريالية والاستعمار دوراً محورياً في تفكيك وإعادة تشكيل العالم العربي خلال القرنين الأخيرين (القرنين التاسع عشر والعشرين). لم يقتصر هذا الدور على السيطرة العسكرية والاقتصادية، بل امتد ليشمل الهندسة الاجتماعية والسياسية عبر استغلال التناقضات الثقافية، وخاصة اللعب على وتري الدين والعلمانية لضمان إضعاف الهوية الجامعة وتثبيت التبعية.

بدأ التغلغل الاستعماري بضعف الدولة العثمانية ("رجل أوروبا المريض") وتوسع القوى الغربية (بريطانيا، فرنسا، وإيطاليا لاحقاً)..

استخدم المستعمر استراتيجية **"فرق تسد"**، واعتمد على التناوب في استخدام ملفي الدين والعلمانية كأدوات لإدارة الصراع وتحقيق مصالحه.

توظيف "الدين" وإذكاء الطائفية لإضعاف أي مقاومة وطنية موحدة، عمل الاستعمار على تسييس الدين وتحويل التنوع الثقافي إلى خطوط صدع طائفية.

في المقابل، استُخدمت العلمانية (أو النماذج المشوهة منها) كوسيلة لتغريب المجتمعات وقطع صلة الشعوب بهويتها وتبرير "المهمة الحضارية" للاستعمار.. أدت هذه السياسة المزدوجة (تأجيج الطائفية الدينية من جهة، وفرض التغريب العِلماني من جهة أخرى).

آراء حرة

حين يُحاصر الخوف خطى الفتيات: ثورة ضمير بوجه التحرش

أسعد عبدالله عبد علي

في زحام الشوارع ووسط صخب الأسواق، وفي تلك اللحظات الفاصلة بين رصيف وآخر، لم تعد الفتاة العراقية تمشي بخطوات آمنة بل أصبحت تسير وكأنها تعبر حقل ألغام مميت تتطاير حوله شظايا التبرير المجتمعي والانفلات الأخلاقي.

ان الشارع الذي كان يوماً مساحة رحبة للحياة والتفاعل الإنساني الدافئ, تحول بقدرة فوضى الضمائر, وغياب الردع, إلى غابة خرسانية موحشة, تترصد في زواياها نظرات الجوع والتهتك المقيت، وتتعالى في هوائها أصوات التحرش السخيفة والوقحة, كدليل صارخ وفاقع على انحدار قيمي مروع ومخيف, يعصف ببنية المجتمع ويضرب في عمق قيمه وأعرافه الأصيلة، لتجد ابنة هذا الوطن نفسها وحيدة في مواجهة هذا السعار اليومي, وهي تتجرع مرارة القهر والامتهان, بلا جريرة اقترفتها سوى أنها ولدت لتسير في وطن تنتهك فيه طمأنينتها علانية.

فهي ليست مجرد ظاهرة عابرة يمكن تجاوزها بابتسامة صفراء باهتة, أو نصيحة باردة تلقى عرضاً من عابر سبيل لا يبالي، بل هي ورم خبيث يتفشى بلا توقف في جسد الحياة, ليأكل ما تبقى من هيبة القانون والأعراف الاجتماعية، ويترك الفتيات رهينات للخوف المرير والابتزاز النفسي المستمر, الذي يسرق منهن بهجة العيش, ويحيل أبسط تفاصيل خروجهن إلى رحلة عذاب صامتة, تئن تحت وطأتها الضمائر الحية, وتصرخ من ظلمها جدران المدن المكلومة.

- ما الذي أشعل فتيل هذا السعار؟

حين نبحث عن الأسباب التي جعلت التحرش يتحول إلى هذا الوجه المستفحل، فإننا نجد أنفسنا أمام منظومة متكاملة من الانهيارات والدوافع؛

إذ يتصدر المشهد غياب الردع القانوني الفعلي, حيث تبدو القوانين الرادعة إما غائبة أو مهشمة أو حبيسة الأدراج، فان غياب العقوبات القاسية والعلنية ضد المتحرشين يمنحهم الضوء الأخضر لمواصلة أفعالهم بأمان تام من أي قصاص.

ولا ينفصل ذلك عن التفسخ الأخلاقي وتراجع منظومة التربية بعد أن تآكلت التقاليد الرصينة التي كانت تحترم الجار وابنة المنطقة، وحلت محلها ثقافة التفاخر بالانحلال وضعف وازع المراقبة الأسرية حيث يُترك الشباب والمراهقين من دون توجيه أو تربية تحترم إنسانية الآخر.

ويضاف إلى ذلك البطالة والانسداد النفسي, إذ أفرزت الأزمات الاقتصادية المتلاحقة طوابير من الشباب العاطلين عن العمل, ممن يعانون من إحباط مزمن وانسداد أفق تام، فانعكس هذا الكبت بطرق مدمرة ومشوهة تتحول إلى عدوانية مجتمعية مفرطة تفرغ في الشوارع.
لتكتمل الحلقة بثقافة اللوم المقلوب! حيث يميل المجتمع غالباً لحماية المعتدي وإلقاء اللوم على الضحية! متسائلاً لماذا خرجت وماذا كانت ترتدي، وهو ما يشكل مظلة حماية غير مباشرة للمتحرش, ويمنع الضحايا من رفع أصواتهن بالشكوى خوفاً من الفضيحة المجتمعية.

تحليل نفسي للمتحرش

حين نحاول الغوص في الأعماق النفسية المظلمة للمتحرش، فإننا لا نكتشف سوى كائن مهشم, يعاني من عجز عميق واضطراب في بنيته الشخصية.

فهو يمارس فعله المشين متعمداً وهو يعلم تماماً بقبحه، مستنداً في دوافعه الخفية إلى شعور دفين بالنقص, ويتم تعويضه عبر الهيمنة الوهمية وسرقة الأمان من الآخرين.

إن تكراره لهذا الفعل القبيح لا ينبع من مجرد رغبة عابرة، بل يمثل حلقة إدمانية من تفريغ الشحنات العدوانية، حيث يستمد متعة مريضة من إرباك الضحية ورؤيتها خائفة أو منكسرة، ليغذي بذلك غروره الزائف ويخفي هشاشته الداخلية.

وحين يتكرر السلوك بلا رادع ذاتي أو قانوني، يتحول المتحرش إلى أسير لدائرة مفرغة من السيكوباثية والتبلد العاطفي، غارقاً في تبريرات

تبريرات واهية تسقط مسؤوليته الأخلاقية، غير آبه بأن كل فعلة من أفعاله تهدم ما تبقى من إنسانيته, وتترك ندوباً عميقة في روح المجتمع.

الازمة النفسية للضحية

تعيش الفتاة ضحية التحرش أزمة نفسية عميقة وموجعة تزلزل أركان كيانها وتترك ندوباً غائرة في روحها، إذ تتقاذفها مشاعر الصدمة والإنكار فور تعرضها للاعتداء, وكأن العالم الآمن من حولها قد انهار فجأة ودون مقدمات.

ليتحول الخوف إلى رفيق دائم يتربص بخطواتها, ويجعلها تشعر بفقدان السيطرة على أبسط تفاصيل حياتها ومحيطها، ويتفاقم هذا العذاب الداخلي بفعل شعور ثقيل بالخزي والذنب غير المستحق, يتغذى على ثقافة مجتمعية ظالمة تلقي باللوم عليها وتحملها وزر جريمة لم تقترفها، مما يدفعها نحو العزلة القاتمة والانكفاء على الذات, خوفاً من نظرات الشك والشماتة أو الفضيحة.

ويهز ثقتها المطلقة بالآخرين, ويغرس في وجدانها شعوراً جارحاً بالعجز والمهانة تفقد معه القدرة على الشعور بالأمان والألفة في أكثر الأماكن اعتيادية، لتظل تحارب بصمت مرير مع قلق مزمن وكوابيس ليلية تلاحقها طويلاً، محاولة ترميم ما انكسر من ثقتها بنفسها وبإنسانية من حولها.

طوق النجاة: كيف نوقف هذا النزيف؟

الوقوف مكتوفي الأيدي لم يعد خياراً والسكوت على هذا الاستفحال يعني مشاركة صريحة في الجريمة، ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه لا بد من قرارات صارمة وحلول عملية عاجلة تتمثل في تشريع وتفعيل قوانين صارمة جنائية واضحة تجرم التحرش

تتمة ص التالية

حين يُحاصر الخوف خطى الفتيات

اللفظي والجسدي والإلكتروني مع فرض عقوبات سالبة للحرية وغرامات مالية باهظة. وتفعيل شرطة حماية الأسرة لتكون حاضرة بقوة في الأماكن العامة والأسواق، إلى جانب ربط الساحات العامة والجامعات وأطراف الأسواق بشبكة كاميرات مراقبة ذكية مرتبطة بغرف عمليات أمنية, لتوثيق حالات التحرش, وضبط الجناة بالجرم المشهود, ليكونوا عبرة لمن يعتبر.

فضلاً عن إطلاق حملات توعية إعلامية ومجتمعية عبر المنصات والقنوات الفضائية والمدارس والجامعات, تغيير الصورة النمطية وترسيخ ثقافة احترام الحريات الفردية وتجريم ثقافة لوم الضحية, ومـــعالجة الأسباب النفسية والاقتصادية عبر توفير فرص عمل للشباب واحتواء طاقاتهم, في مسارات بناءة.

وتفعيل دور المؤسسات الإرشادية والنفسية لعلاج الانحرافات السلوكية قبل أن يتحول أصحابها إلى مفترسين في الطرقات، فالشارع العراقي ملك لجميع أبنائه وبناته, ولا يمكن السماح لمجموعة من العابثين والمنفلتين أن يحولوه إلى سجن كبير للخائفات، وقد آن الأوان لتستفيق الضمائر وتتحرك الجهات الرسمية بيد من حديد لقطع دابر هذا الوباء.

ختاما:

إن معركة الشارع اليوم ليسَت مـعركة مساحةٍ أو عابر سبيل، بل هي معركة وجودٍ وهيبة وطن؛ فإما أن نظل أسرى لغابة خرسانية تنهش طمأنينة الأبرياء وتكسر ظلال الأمان، وإما أن نسترد شوارعنا وأزقتنا لتكون مرة أخرى منازل دافئةً لكل عابر وابنة.

إن بنات العراق لسن وحدهن في هذه المعركة، وحين تتطهر الارض من عبث العابثين, وتستفيق الدولة بقرارات صارمة لا تعرف الهوادة، سيعود النور ليغسل عتمة الأرصفة، وستسير الخطوات على هذه الأرض الحبيبة بخفة وثقة، وكأن شيئاً من وجع الخوف لم يكن.

***

تحالف إعلامي يعلن مقاطعة هيئة الإعلام والاتصالات..
وتيار الحكمة وعمار الحكيم احتجاجاً على قرارات وصفها بـ«التعسفية»

الإعلامي أحمد ملا طلال يكشف اتفاق القنوات المنضوية في التحالف على عدم تغطية نشاطات تيار الحكمة وتصريحات عمار الحكيم وعدم استضافة ممثليه إلى حين مراجعة الإجراءات ووضع معايير موحدة لتنظيم العمل الإعلامي.

التحالف يعتبر أن قرارات هيئة الإعلام والاتصالات تجاوزت التنظيم المهني إلى إجراءات تمس حرية الإعلام واستقلاليته، محذراً من تحول القرارات الإدارية إلى أدوات لتقييد الرأي والتعبير.

التحالف يؤكد أن «تنظيم الإعلام لا ينبغي أن يتحول إلى سلطة على الإعلام»، رافضاً استخدام الرقابة المهنية لمعاقبة الآراء أو إخضاع البرامج والمقدمين لاجتهادات متغيرة.

التحالف يناشد رئيس مجلس القضاء الأعلى فائق زيدان التدخل ضمن الاختصاصات القانونية والدستورية لضمان مراجعة القرارات والإجراءات محل الاعتراض.

التحالف يشدد على أن «حرية الإعلام ليست امتيازاً تمنحه جهة إدارية»، متمسكاً باستقلال المؤسسات الإعلامية ورافضاً تـــحويل التنظيم إلى تضييق والمعايير المهنية إلى تفسيرات انتقائية.

قرار المقاطعة يبقى سارياً إلى حين مراجعة الإجراءات واعتماد معايير واضحة وشفافة وموحدة لتنظيم العمل الإعلامي وضمان حرية الصحافة واستقلال المؤسسات.

ردود فعل

عوني النبهان:
قرار شجاع وجريء وعلى بقية المنظمات ووسائل التواصل الاجتماعي والقوى الخيرة الأخرى مساندة ودعم هذا التحالف لوضع حد لتصرفات الهيأة ولابد للكلمة الحرة أن تأخذ دورها الصحيح والمؤثر وان لاتكون ألعوبة بيد من هب ودب من المتطفلين على المهنة وأشباه المثقفين.

حبيب العباسي:
هذا الإعلام الحر يجب ان يقاطع كل من يحاول ان يقيد حرية الرأي الصادق والمعبر عن هموم الناس واتجاهات الوطن السياسية والاقتصادية بصدق ومهنية. ورفض من يدعي الوصاية على الإعلام والمثقف وعـدم تسيس الإعـلام لـــجهة سياسية لايهمها سوى مصالحها الضيقة. كل التأكيد لكل قلم واعلامي شريف.

زهير شهاب:
نحن نريد سماع رأي معارض حر شريف يمثل الطيف الواسع للشعب العراقي المسحوق تحت وطأة وهيمنة الاحزاب الحاكمه. سياسة تكميم الافواه غايتها عدم كشف فساد هذه الاحزاب وهذا مالايحتاج دليل.. نعم لحرية الرأي والتعبير وهذه آخر مكتسبات النظام الديمقراطي وهي على وشك ان نفقدها.

حسان سعيد:
قرار صحيح حتى لا يختزل الاعلام لجهة سياسية يجب ان يكون مستقلا وبعيد عن الولاءات السياسية ويكون التعبير عن الراي وفق الاطر الدستورية المنصوص عليها بالدستور وهذا هو المطلوب.

عمار الموسوي:
مع ملاحظاتي الكثيرة على ملا طلال، وتحفظي على العديد من مواقفه وتصريحاته، إلا أنني أتفق معه في هذه الخطوة؛ فهو موقف وطني حر وشجاع، ويعتبر قولاً لـ (لا) في وجه الظالم المستبد.

منقول/ جريدة المدى

وجهة نظر

سياسة التوازن الحذر... بين العلاقات الخارجية، واحتواء مشروع الحكومة!!

عصام الياسري

ورثت حكومة الزيدي بيئة إقليمية شديدة التعقيد. فالعراق لا يزال ساحة تقاطع بين النفوذ الإيراني والمصالح الأميركية، إضافة إلى جدل متزايد على المحيط العربي.

وتحاول الحكومة الجديدة برئاسة علي الزيدي تبني سياسة توازن دقيقة تمنع انزلاق البلاد إلى محاور متصارعة، مع الحفاظ على علاقات مستقرة مع جميع الأطراف. غير أن نجاح هذه السياسة سيعتمد على قدرة بغداد على تعزيز استقلالية قرارها السياسي والاقتصادي.

ودخل الزيدي الأشهر الأولى من حكمه، وهو يحمل مشروعا إصلاحيا طموحا وشعارات تحظى بقبول شعبي واسع، وفي مقدمتها مكافحة الفساد وبناء مؤسسات الدولة. إلا أن التحدي الحقيقي لا يكمن في إعلان الحرب على الفساد، بل في القدرة على مواجهة القوى التي استفادت منه لعقود.

وبين طموح الإصلاح الحقيقي وثقل التوازنات السياسية، تقف حكومة الزيدي أمام مفترق طرق تاريخي: إما أن تنجح في تحويل شعار "الدولة أولاً" إلى واقع مؤسسي جديد، أو أن تتحول إلى حلقة أخرى في سلسلة الحكومات التي اصطدمت بجدار المحاصصة والنفوذ قبل أن تحقق وعودها.

وفي بلد مثل العراق، حيث تتشابك السياسة بالاقتصاد والأمن والمصالح الحزبية، تبدو معركة مكافحة الفساد ليست مجرد ملف حكومي، بل معركة على شكل الدولة العراقية نفسها ومستقبلها .

وعلى ما يبدو أن بعض القوى السياسية، ومنها مجموعة الإطار التنسيقي تخطط للحد من توجهات رئيس الوزراء بسبب إصراره على مكافحة الفساد وحصر السلاح بيد الدولة، وهو ما لا ترتضيه الفصائل الولائية.

هذه نقطة مهمة، لأن جوهر الأزمة الحالية لا يكمن في إعلان مكافحة الفساد بحد ذاته، بل في أن بعض إجراءات رئيس الوزراء تمس مراكز نفوذ سياسية وأمنية واقتصادية تراكمت خلال سنوات طويلة.

كما تستهدف مشاريع اقتصادية وأمنية، تكون في مثل هذه الظروف التي يمر بها العراق والمنطقة مفتاح فهم الصراع الجاري داخل المنظومة السياسية ومحيطها الخارجي.

منذ تشكيل حكومة علي الزيدي، بدا واضحا أن العلاقة بين رئيس الوزراء والقوى التي دعمته للوصول إلى المنصب ليست علاقة مستقرة بالكامل. فبينما قدمت أطراف الإطار التنسيقي نفسها باعتبارها الراعي السياسي للحكومة الجديدة، بدأت تظهر مؤشرات على وجود تباين متزايد بشأن ملفات حساسة يتصدرها ملف مكافحة الفساد وحصر السلاح بيد الدولة.

وتشير قراءات سياسية متداولة في بغداد إلى أن بعض القوى النافذة لم تكن تتوقع أن يذهب الزيدي بعيدا في تبني خطاب إصلاحي يتجاوز حدود الإجراءات الشكلية، خصوصا ـ مع حديثه المتكرر عن إعادة هيكلة مؤسسات الدولة، ومراجعة العقود الحكومية الكبرى، وتعزيز دور الأجهزة الرقابية والقضائية في ملاحقة ملفات الفساد.

وتكمن حساسية هذه التوجهات في أن شبكات النفوذ التي تشكلت خلال العقدين الماضيين لا تقتصر على مسؤولين إداريين أو موظفين حكوميين، بل ترتبط أحيانا بأحزاب وقوى سياسية تمتلك نفوذا داخل البرلمان ومؤسسات الدولة والأجهزة الأمنية. ولذلك ينظر بعض المراقبين إلى معركة مكافحة الفساد باعتبارها مواجهة غير مباشرة مع مراكز قوة سياسية راسخة أكثر من كونها حملة إدارية تقليدية.

ملف السلاح... الخط الأحمر

فإذا كان الفساد يمثل التحدي الاقتصادي الأكبر، فإن حصر السلاح بيد الدولة يمثل التحدي السياسي والأمني الأخطر.

فمنذ سنوات طويلة تشكلت في العراق معادلة أمنية معقدة تضم مؤسسات الدولة الرسمية إلى جانب فصائل مسلحة تمتلك حضورا سياسيا وشعبيا وعسكريا. وبينما يؤكد الزيدي أن بناء دولة قوية يتطلب احتكار المؤسسات الرسمية للقوة المسلحة، ترى بعض القوى أن أي خطوات متسارعة في هذا الاتجاه قد تمس التوازنات التي تشكلت بعد عام 2003.

ولهذا السبب يعتقد البعض أن ملف السلاح قد يتحول إلى ساحة الاختبار الحقيقية للعلاقة بين رئيس الوزراء، وبعض مكونات الإطار التنسيقي، خصوصا ـ إذا انتقلت الحكومة من مرحلة التصريحات السياسية إلى مرحلة الإجراءات التنفيذية.

فيما يبرز بين الأوساط السياسية العراقية حديثا متزايدا عن توجه بعض القوى إلى اعتماد سياسة "الاحتواء بدل المواجهة". وتعتمد هذه المقاربة على عدم الدخول في صدام مباشر مع رئيس الوزراء، مع العمل ـ في الوقت نفسه ـ على تقليص هامش حركته من خلال أدوات سياسية وبرلمانية وإدارية مختلفة.

وتشمل هذه الأدوات تأخير إقرار بعض التشريعات الحكومية، أو تعطيل التعيينات الإدارية الحساسة، أو ممارسة ضغوط داخل البرلمان بشأن ملفات الإصلاح، أو فرض تسويات تحد من قدرة الحكومة على اتخاذ قرارات جذرية.

وبحسب هذه القراءة، فإن الصراع الحالي لا يدور حول بقاء الحكومة أو إسقاطها، بل حول طبيعة المشروع الذي ستنفذه، ومدى قدرتها على تجاوز الخطوط التي رسمتها القوى التقليدية داخل النظام السياسي.

السؤال الذي يفرض نفسه اليوم في بغداد ليس ما إذا كان رئيس الوزراء يريد مكافحة الفساد أو حصر السلاح، بل ما إذا كان يمتلك الأدوات السياسية اللازمة لتحقيق ذلك؟.

فالنجاح في هذا المسار يتطلب تحالفا واسعا يضم الرأي العام والقوى الإصلاحية، وبعض المؤسسات الرسمية، في مواجهة شبكة معقدة من المصالح السياسية والاقتصادية التي قد ترى في مشروعه تهديدا مباشرا لنفوذها.

ومن هنا يمكن القول: إن مستقبل حكومة علي الزيدي لن يتحدد بقدرتها على إدارة الملفات اليومية للدولة فحسب، بل بقدرتها على الصمود أمام محاولات الاحتواء السياسي التي بدأت ملامحها بالظهور منذ الأسابيع الأولى لتشكيلها. وفي حال التمكن من الحفاظ على زخمه الإصلاحي، فقد يصبح أول رئيس وزراء عراقي منذ سنوات ينجح في نقل معركة مكافحة الفساد من مستوى الشعارات إلى مستوى إعادة تشكيل موازين القوة داخل الدولة نفسه وسط حضور شعبي داعم له.

قراءات

» شفرة البقاء الحضاري« ديالكتيك الانتخاب الثقافي وبايولوجيا الاستعصاء العربي (3)

أ.د. محمد الربيعي

سابعا: البحث عن الحصانة.. "الجين النووي" وهندسة المستقبل

في الطبيعة، تتصارع الكائنات الحية والجينات على الموارد المحدودة (الغذاء، المساحة، الطاقة) لضمان الاستمرار. وفي الغابة الجيوسياسية، لا يختلف الامر، فالانظمة السياسية تتصارع على "المواد الاولية" والاسواق والنفوذ. وفي قلب هذا الصراع، يبرز السعي نحو "التكنولوجيا النووية" والسيادة التقنية الفائقة كأهم **"طفرة وراثية "** (Genetic Mutation)منشودة في تاريخ الامم الحديث.

الحصانة النووية: كسر "قانون الافتراس "
امتلاك القدرة النووية او السيادة التقنية العميقة يمثل في "البيولوجيا السياسية" امتلاك **"حصانة مطلقة ضد الافتراس".** في عالم الحيوان، تمتلك بعض الكائنات اليات دفاعية (مثل السموم القاتلة او الدروع الحصينة) تجعل افتراسها مغامرة انتحارية للمفترس، وبالمثل، فان "الجين النووي" يمنح الدولة "درعا حيويا" يخرجها من دائرة الكائنات التي يمكن استئصالها او تغيير نظامها الحيوي بالقوة الغاشمة. انها "طفرة" تنقل الدولة من مرتبة "الفريسة المحتملة" الى مرتبة "الكائن المحصن" الذي يمتلك حق الفيتو الوجودي.

* **الاحتكار الغربي و"منع التطفر" العربي**
الغرب يدرك، بخبرته التطورية الطويلة، ان اكتمال هذه الطفرة لدى العرب او ايران اوغيرهم سيغير **"قواعد التطور"** الدولية للابد. فامتلاك التكنولوجيا النووية والبحث العلمي المتقدم ليس مجرد اضافة تقنية، بل هو "اعادة برمجة" لالة البقاء المحلية تجعلها غير قابلة للاستئصال. لذا، نجد ان الصراع العالمي على الملفات العلمية والنووية في المنطقة العربية والشرق الاوسط ليس صراعا قانونيا او اخلاقيا كما تدعي "القشرة اللغوية" للدبلوماسية الدولية، بل هو صراع بيولوجي صرف على **"حق امتلاك ادوات الحصانة".**

تاريخيا، راينا كيف يتم اجهاض اي محاولة عربية لامتلاك "الجينوم التقني"، عبر تدمير المفاعلات (كما حدث لمفاعل تموز بالعراق). الهدف هو الحفاظ على الحالة العربية في طور **"الكائن الضعيف مناعيا"**، الذي يظل معتمدا على "المضادات الحيوية" الغربية (السلاح، الدواء، التكنولوجيا الجاهزة) دون ان يمتلك القدرة على تصنيعها ذاتيا.

* **شريعة الغاب والقشرة اللغوية** هذا الواقع يكرس نظاما دوليا قائما على "شريعة غاب خوارزمية"، حيث تُستخدم مصطلحات مثل "منع الانتشار" او "الشرعية الدولية" كأدوات كبح ميمية لمنع الشعوب الاخرى من تحقيق "قفزتها التطورية". ان "الجين النووي" هو الضمانة الوحيدة للانتقال من مرحلة "الاستعصاء" الى مرحلة "السيادة الحيوية". ومن هنا، فان معركة المستقبل العربي ليست في اروقة السياسة فحسب، بل في مختبرات الابحاث العلمية، فالعلم هو "الحامض النووي" للقوة، وبدونه سيظل الكائن العربي عرضة لـ "التحلل الحضاري" او الافتراس من قبل الانظمة التي نجحت في تحصين شفرتها الوراثية بكل ادوات الفتك والمنع.

ثامنا: الخداع البيولوجي والذكاء الاصطناعي للصراع الحديث

في الطبيعة، يُعد الخداع استراتيجية تطورية اصيلة لضمان البقاء، فالعديد من الكائنات تستخدم "التنكر (Camouflage) "او "المحاكاة (Mimicry) "لتضليل المفترسات او للايقاع بالفرائس. بعض الفيروسات، على سبيل المثال، تمتلك قدرة فائقة على تغيير "غلافها البروتيني" لتبدو كخلايا صديقة، مما يسمح لها باختراق الجهاز المناعي دون اثارة اي استجابة دفاعية.

* **الذكاء الاصطناعي كـ "طفرة" في الخداع الحيوي** في العصر الحديث، انتقل هذا الخداع من المستوى البيولوجي الصرف الى المستوى السيبراني والمعلوماتي الفائق. لقد طور الغرب "خوارزميات ذكاء اصطناعي" تعمل كـ **"مجسات حيوية "** قادرة على قراءة الخريطة النفسية والعصبية للمجتمعات العربية. المعلومات المضللة (Disinformation) و"التزييف العميق " (Deepfakes) ليست مجرد ادوات تقنية، بل هي **"سموم حيوية (Biotoxins) "** ميمية تُحقن في "الجهاز العصبي الجمعي" للخصم. الهدف هو احداث حالة من "التوهان الوظيفي"، حيث يفقد المجتمع القدرة على التمييز بين الصديق والعدو، وبين الحقيقة والوهم، مما يؤدي في النهاية الى شل ارادة المقاومة والرد.

* **تفكيك المناعة الثقافية عبر "الاختراق الميمي** "نجح الغرب في استخدام هذه "السموم الميمية" لتفكيك المناعة الثقافية للعرب عبر منصات التواصل الاجتماعي التي تعمل كـ **"قنوات حقن وراثي** ."تاريخيا، كانت الحروب تعتمد على "القوة الصلبة" (الافتراس المباشر)، اما اليوم فالصراع يدور حول **"هندسة الوعي "**. يتم استخدام الذكاء الاصطناعي لانشاء "فقاعات معلوماتية" تعزز الانقسامات الطائفية والقبلية (العودة لـ "خوارزمية القرابة الضيقة")، مما يمنع تشكل "كتلة حيوية وطنية" موحدة.

بينما يطور الغرب "دفاعات سيبرانية" تشبه الاجهزة المناعية الذكية، ظل العقل العربي في حالة **"استعصاء دفاعي تقليدي".** نحن لا نزال نحاول مواجهة "الطفرات الرقمية" والذكاء الاصطناعي بادوات "الحظر والمنع" القديمة، وهي استراتيجية تشبه محاولة ايقاف فيروس متطور بـ "حاجز ميكانيكي" بسيط. هذا العجز عن بناء "حصانة رقمية" ذاتية جعل الفضاء العربي مختبرا مفتوحا لعمليات "التلاعب الجيني الثقافي"، حيث يتم اعادة صياغة الميمات المحلية لتخدم اهداف القوى الكبرى سواء كانت امريكا او الصين او روسيا او غيرها، مما يرسخ حالة "التبعية الحيوية" ويمنع ظهور اي استقلال خوارزمي حقيقي.

* **حرب الظل والسيادة المعلوماتية** ان الصراع الحديث هو صراع على **"السيادة المعلوماتية".** المجتمع الذي لا يمتلك خوارزمياته الخاصة هو مجتمع "مكشوف

---

* بروفسور متمرس ومستشار تربوي، جامعة دبلن

تتمة ص التالية

الحراك غير كاف للمواجهة.. والاحتواء السياسي مستمر!

في الأوساط السياسية العراقية يبرز حديث متزايد عن توجه بعض القوى إلى اعتماد سياسة "الاحتواء بدل المواجهة". وتعتمد هذه المقاربة على عدم الدخول في صدام مباشر مع رئيس الوزراء، مع العمل في الوقت نفسه على تقليص هامش حركته من خلال أدوات سياسية وبرلمانية وإدارية مختلفة.

وتشمل هذه الأدوات تأخير إقرار بعض التشريعات الحكومية، أو تعطيل التعيينات الإدارية الحساسة، أو ممارسة ضغوط داخل البرلمان بشأن ملفات الإصلاح بما فيها محاربة الفساد وحصر السلاح، أو فرض تسويات تحد من قدرة الحكومة على اتخاذ قرارات جذرية.

وبحسب هذه القراءة، فإن الصراع الحالي لا يدور حول بقاء الحكومة أو إسقاطها، بل حول طبيعة المشروع الذي ستنفذه ومدى قدرتها على تجاوز الخطوط التي رسمتها القوى التقليدية داخل النظام السياسي.

السؤال الذي يفرض نفسه اليوم في بغداد ليس ما إذا كان رئيس الوزراء يريد مكافحة الفساد أو حصر السلاح، بل ما إذا كان يمتلك الأدوات السياسية اللازمة لتحقيق ذلك.

فالنجاح في هذا المسار يتطلب تحالفا واسعًا يضم الرأي العام والقوى الإصلاحية وبعض المؤسسات الرسمية، في مواجهة شبكة معقدة من المصالح السياسية والاقتصادية التي قد ترى في مشروعه تهديدا مباشرا لنفوذها.

ومن هنا يمكن القول إن مستقبل حكومة علي الزيدي لن يتحدد بقدرتها على إدارة الملفات اليومية للدولة فحسب، بل بقدرتها على الصمود أمام محاولات الاحتواء السياسي التي بدأت ملامحها بالظهور منذ الأسابيع الأولى لتشكيلها. وفي حال تمكن من الحفاظ على زخمه الإصلاحي، فقد يصبح أول رئيس وزراء عراقي منذ سنوات ينجح في نقل معركة مكافحة الفساد من مستوى الشعارات إلى مستوى إعادة تشكيل موازين القوة داخل الدولة نفسها.

ولهذا السبب يعتقد أن ملف السلاح قد يتحول إلى ساحة الاختبار الحقيقية للعلاقة بين رئيس الوزراء وبعض مكونات الإطار التنسيقي، خصوصا إذا انتقلت الحكومة من مرحلة التصريحات السياسية إلى مرحلة الإجراءات التنفيذية.

» شفرة البقاء الحضاري« ديالكتيك الانتخاب

جينيا"، فبياناته هي "حامضه النووي" المتاح للاستغلال. الغرب نجح في تحويل المعلومة الى "سلاح تطوري" يضمن له البقاء والسيطرة دون الحاجة لاطلاق رصاصة واحدة في كثير من الاحيان. اما العرب، فبسبب "بايولوجيا الاستعصاء" التي تمنعهم من اللحاق بالركب التقني السيادي، ظلوا في مرتبة "المستهلك الحيوي" لهذه السموم، عاجزين عن انتاج "ترياق" رقمي يحمي عقول اجيالهم الناشئة من الاغتراب الحضاري والتبعية الميمية الكاملة او حتى مجرد استخدامها من اجل تطورهم.

الخلاصة: كسر شفرة الاستعصاء ونحو "انفجار كامبري" حضاري

ان النتيجة الجوهرية التي تخلص اليها هذه القراءة السوسيوبايولوجية هي ان التخلف العربي ليس "قَدرا جينيا" مسجلا في الكروموسومات، بل هو نتاج تراكُمي لسيادة **"خوارزميات فاشلة"** تم انتخابها ثقافيا عبر قرون من الركود. ان النجاح الغربي، كما حللنا، لم يكن نابعا من تفوق اخلاقي مثالي، بل كان انتصارا في "ادارة الانانية" بذكاء مؤسساتي فائق، حيث استطاع الغرب تحويل "الجين الاناني" الفردي الى "محرك جمعي" عبر تحديث الميمات باستمرار، وخلق بيئة "ديالكتيكية" تسمح بتطور الافكار وتغربل النظم الواهنة،

لكي يخرج العرب من زنزانة **"بايولوجيا الاستعصاء"**، لا بد من القيام بـ **"هندسة ميمية "** شاملة وجراحية، عملية تهدف الى تحويل طاقة "الانانية الجينية الضيقة" (الولاء للقبيلة والطائفة والعشيرة) الى "تعاون اجتماعي خوارزمي واسع" يتجسد في الدولة والمؤسسة والمواطنة. اننا بحاجة الى "طفرة ارادية" تقطع مع "بايولوجيا السكون" والبيات الشتوي الحضاري، لتنتقل بنا الى "ديالكتيك الحركة" حيث يُسمح للنقيض بالتفاعل وللنقد بالنمو.

ان استبدال ميمات "الخنوع والقدرية وتقديس الماضي" بميمات "النقد العلمي والابتكار والمساءلة" ليس مجرد ترف فكري، بل هو ضرورة بيولوجية للبقاء. السيادة الحقيقية في القرن الحادي والعشرين ـ عصر الذكاء الاصطناعي والهندسة الوراثية والحروب السيبرانية ـ لا تاتي من التغني بامجاد "الجينوم التاريخي"، بل من بناء **"خوارزمية وطنية "** مرنة وقادرة على التكيف. ان العالم المعقد الذي نعيشه اليوم لا يعترف بـ "الاقدم" ولا بـ "الاعرق"، بل يمنح حق البقاء لـ "الاكثر ذكاءً" في ادارة شفراته المعلوماتية وحماية اجهزته المناعية الثقافية من الاختراق.

ان كسر شفرة الاستعصاء العربي يتطلب وعيا يتجاوز الشعارات العاطفية، يتطلب فك الارتباط بـ "العوائل" الخارجية التي تستخدمنا كـ "مصدات خوارزمية" او "خلايا تضحية" لضمان بقائها. انها دعوة لاستعادة "التمثيل الغذائي" الوطني، وبناء "حصانة سيادية" (تقنية وعلمية) تخرجنا من دائرة "الافتراس الجيوسياسي."

في الختام، ان الطريق نحو افق جديد يبدا من ادراكنا لكيفية عمل "الالات السياسية" التي تحاول استهلاكنا كوقود حيوي. ان مستقبل العرب رهين بقدرتهم على احداث **"انفجار كامبري "** ثقافي، طفرة كبرى تعيد ترتيب "التشابكات العصبية الجمعية" لتتوافق مع منطق العصر، وتعلن نهاية عصر الاستعصاء وبداية عصر "السيادة الخوارزمية" التي تحفظ للذات العربية مكانها اللائق تحت شمس التطور البشري. انها معركة بين "الشفرة القديمة" التي تقود للفناء، و"الشفرة الجديدة" التي تفتح ابواب الحياة.

المصادر

1 ـ الربيعي، محمد. 2026. الذكاء بين بيولوجيا الوعي وهندسة الأرقام. الطريق الثقافي.

2 ـ الربيعي، محمد .2026. الجين الأناني وصراع البقاء: قراءة خوارزمية في الصراع الأمريكي الإيراني . صحيفة المثقف.

3 ـ الربيعي، محمد .2026. في بيولوجيا الاستعصاء: قراءة في الشفرة الوراثية للنظام السياسي. صحيفة المثقف.

4- Dawkins, Richard (1976). *The Selfish Gene*. Oxford University Press.

5- Wilson, Edward O. (1975). *Sociobiology: The New Synthesis*. Harvard University Press.

مراجعات

»منريد الخبز والماي«... بس سالم ابو عداي

حيدر حسين سويري

حوارٌ دار حول التصريحات التي تحدثت عن تأخير صرف الرواتب، وأن على العراقيين الصبر على ذلك؛ أنقلهُ باللهجة العراقية لما فيه من لوعة والربط بأحداث الماضي القريب:

ـ جعفر: عندما چفص صدام چفصته التاريخية وفقا لسياسة الچلب المچلوب، واحتل الكويت، وبعد هزيمته النكراء وتورط العراق بحصار اقتصادي، اذاب الشحم واللحم ودق عظم المواطن العراقي، وانهيار الدينار أمام الدولار، بحيث أصبح الراتب ما يكفي نص طبقة بيض، وبالوقت الذي كان فيه المواطن العراقي دايخ بعيشته وعيشة اطفاله، كان النظام يتحدث بإعلامه وجرائده أنه اهم شيء: الكرامة والعزة وشرف مواجهة أمريكا والدفاع عن المباديء والقيم السامية! وشنو الاكل؟ شنو الشرب؟ وگاموا البعثية يهوسون "منريد الخبز والماي... بس سالم ابو عداي"، وباسل العزيز يغني "خبزتنا تكفينا وازمة تعدي وتفوت"، واستمر هذا الخرط 13 سنة؛ ثم سقط صدام وتنفسنا الصعداء، وحسبالنا خلصنا من لعبان النفس والخرط البعثي. لكن رجعت القوانة من جديد نفسها بالضبط ونفس الشعارات، لكن هذه المرة خرط (.....) على ايد الـ(.....) وزبانيتهم بالقنوات وعلى المنابر، يعيرون العراقيين بالراتب ويطلبون منهم يجوعون ويأكلون (.....) حتى يعيشون بكرامة نفس كرامة البعثيين، وكلما اشوفهم أتذكر (عزة الدوري) و(علي كيمياوي) و(زين الشباب والخراب، وخبير أكل الكباب عدي الاعرج) وهم يبشرون العراقيين بالهزيمة النكراء لأمريكا وحلفائها، وانتصار القرية الظالم اهلها العوجة على العالم والكرة الارضية!

ـ عماد: مشكلتنا ليست بالحاكم، المشكلة الحقيقية بالمحكوم ونظرية يأخذ أمي يصير عمي، يبذل قصارى جهده للردح والهوسات و التصفيق ويوهم الحاكم بأنه الزعيم الأوحد المختار من الله.

ـ بلال: أتذكر كنا طلبه بالإعدادية وصار هجوم إيراني عل ما يسمى شرق دجلة فأخذونا نحن الطلبة وحصرونا بمدرسة قريبة على الشط والتقى بينا أحد الرفاق وگام يثرم بصل بروسنا وإحنا كاتلنه الجوع والعطش وگال أهم شيء الكرامة مو مهم الاكل - - المهم صارت الساعة بالثنتين والرفيق گاعد بالإدارة مال المدرسة وره شويه ونشوف الصواني دخلت مليانه أكل دجاج وسمج وتزقنب الرفيق وإحنه الكرامه أكلناها - - تالي من شفناها هالشكل إطفر من السياج وشيلها - - گال كرامه! تبا لكم إعطونا رواتبنا وخذوا الكرامه ورددو أغنية "خذو المناصب والكراسي لكن سيبولي الوطن"

ـ كاظم: لم لا نفكر لان نعبش كحال دول العالم المتمدنة.. لا اعتقد بان ثرواتهم اكثر من ثرواتنا.. لكن اخلاق حكامهم اكثر من اخلاق حكامنا.. الدبلوماسية في التعامل والتهدئة والسيطرة على الموارد، تجعل الفرد بعيش حياة هادئة، يستطيع ان يفكر ويبني بلد. ليتنا نخلص من تلك العقول المجحفة والولاءات.. نريد نبني وطن لأجيالنا والعالم ينظر الينا باحترام..

ـ رحيم: المشكلة ليست في الدعوة إلى الكرامة، فالكرامة قيمة لا يختلف عليها أحد، وإنما في أن يُطلب من الشعب وحده أن يدفع ثمن أخطاء السلطة. لقد رفعت الأنظمة الشمولية، قديماً وحديثاً، الشعارات الكبرى لتبرير الفشل وسوء الإدارة، بينما كان المواطن هو من يتحمل الجوع والفقر وانهيار مستوى المعيشة. لا كرامة بلا احترام لكرامة الإنسان، ولا وطن قوي إذا كان شعبه يدفع وحده ثمن مغامرات الحكام وأخطائهم.

بقي شيء...

هذا نقل مقتضب من حوار عراقي... يجب على المعنيين دراسته وفهمه، حتى يعرفوا من هو العراقي.

دافعوا عن حرية التعبير.. أطلقوا سراح علي الذبحاوي

إلى رئيس مجلس القضاء الأعلى السيد الدكتور فائق زيدان المحترم..

إلى السادة الصحفيين والإعلاميين وأصحاب الأقلام الحرة، وكل من يعنيه أمر العدالة وحرية الكلمة..

بعد 23 يوماً من التوقيف في النجف، وقبل تسفيره إلى بغداد، ها هو الدكتور والإعلامي والأكاديمي والمحامي علي الذبحاوي، ومنذ يوم الأحد 23 آب، يُودَع في التوقيف في بغداد على ذمة قضايا نشر، وسط عشرات الموقوفين من جنسيات مختلفة.

فهل هكذا يُكرَّم الإعلامي والأكاديمي والمحامي الذي حمل همّ وطنه ودافع عن قضايا العراقيين؟

ألم يكفِ عاماً كاملاً خلف القضبان؟

ألم يحن الوقت لأن تنتهي هذه المعاناة، وأن يأخذ القانون مجراه الطبيعي؟

منذ 30 تموز ونحن ننتظر إطلاق سراح الدكتور علي بعد إكماله مدة محكوميته، إلا أن ملفه لم يُغلق، وما زال الرجل يتنقل بين أماكن التوقيف، في معاناة نفسية وجسدية قاسية، وهو وضع لا ينسجم مع مكانته الأكاديمية والإعلامية والقانونية.

نناشد السيد رئيس مجلس القضاء الأعلى الدكتور فائق زيدان المحترم، بما عُرف عنه من حرص على استقلال القضاء وتطبيق القانون، التدخل ضمن صلاحياته القانونية، والنظر بعين العدالة والإنصاف في قضية الدكتور علي الذبحاوي، والعمل على حسم ملفه وإنهاء معاناته إذا لم يكن هناك مانع قانوني.

ونناشد كذلك نقابة الصحفيين، ونقابة المحامين، وجميع الإعلاميين وأصحاب الأقلام الحرة أن يكون لهم موقف واضح تجاه زميلهم، فحرية التعبير ليست امتيازاً لشخص دون آخر، وإنما حق كفله الدستور والقانون.

إن القضية اليوم ليست قضية شخص واحد فحسب، بل هي قضية حرية كلمة، وكرامة إنسان، ومكانة أكاديمي وإعلامي وقانوني.

يا أصحاب الضمائر والأقلام الحرة..

عام كامل من السجن والمعاناة يكفي.

نريد عدالة لا انتقاماً، وقانوناً لا مزاجاً، وإنصافاً لا امتيازاً.

اللهم أظهر الحق وأنصف المظلوم، واحفظ العراق وأهله.

آراء حرة

الشكل القيمي للطبقة السياسية..

تعليق أوزارهم على كاهل الإمام المهدي!

احسان جواد كاظم

يجري بإلحاح مُريب إقحام اسم الإمام المهدي، محمد بن الحسن العسكري، صاحب الزمان الإمام الغائب المنتظر، المقدس لدى الشيعة الاثنا عشرية، في كل شاردة وواردة بما يحدث في بلادنا، حتى أن الفُسّاد صيّروه شريكاً في السرقة بادعاء عائدية الأموال المنهوبة والمكدسة عند السارقين له، وما هم الا مؤتمنين عليها لحين تسليمها له عند ظهوره ! وتقديمه من ثمة كحامي لممارساتهم ودليل ورعهم وتقواهم، حتى يكونوا عصيين على المساءلة، إضافة الى أنهم تفننوا في تلفيق تخريجات فقهية، للضحك على الذقون، تحلل النهب للأموال العامة... مال الدولة وتصنيفه كمال سائب يمكن الاستيلاء عليه.

وقد كانت سرقاتهم قد بلغت أرقاماً خيالية وصلت لدى بعضهم بالترليونات دينار عراقي أي مليارات الدولارات الامريكية، وصارت الطغمة الفاسدة تبدد الثروات المنهوبة بشكل جنوني، في شراء العقارات وتكديس سبائك الذهب بالكيلوات وشراء أغلى السيارات والساعات الثمينة بأعداد كبيرة، وحتى أغلى الأحصنة و قطعان الغزلان.. وكنزها في البالوعات والجدران وحفر في المزارع وحتى تحت جوامع بُنيت لأجل اخفاءها وإبعاد الشبهات، بشكل كشف عن أزمتها الأخلاقية وجشعها المقيت وخيانتها للمسؤولية.

فقد وصلت المتاجرة بسردية الإمام المهدي، حدوداً مهينة من خلال تصريحات منسوبة لممثلي الطغمة الحاكمة، وهم بالمناسبة من قيادات الأحزاب الشيعية، تداولتها مواقع التواصل، تسيء إلى آل البيت والامام المنتظر ذاته.

وبغض النظر عن صحة كل ما يُنشر، فإن البنية الفكرية والايديولوجية والطرح الإعلامي الشائع لفضائياتهم وخطب منابرهم تدور في هذه الحلقة و تتماهى كلياً مع ما يُروج، مما تضفي مصداقية كافية لما جاءت به هذه البوستات...

فإحدى عضوات البرلمان لعدة دورات متتالية والمحتجزة رهن التحقيق، وجدوا في حوزتها مليارات الدنانير وملايين الدولارات وكيلوات من سبائك الذهب، قد صرحت: " أن الأموال التي وجدت بحوزتي كانت من ضمن الأموال التي تجمع لصاحب الزمان ". (موقع خبر)، المثير للضحك أن من ضمن المقتنيات كانت ملابس نسائية داخلية من الذهب وعشرات الخيول الأصيلة غالية الثمن واسطبلات وسيارات أمريكية فارهة ...

رئيس مجلس وزراء سابق قال بأن " رواتب الامام المهدي كانت تصرف من البنك المركزي العراقي تحت بند عائم بمسمى صاحب الزمان " (البيان).

رئيس مجلس وزراء أسبق أكد : " قضية تخصيص رواتب للمهدي عليه السلام من الميزانية العراقية قضية دستورية (؟؟؟!!!) تمت وفق القانون وبموافقة البرلمان " (الحدث).

قيادي شيعي ادعى : " تلقيت تكليف شخصي من الامام المهدي قبل عشرة سنوات باستلام مرتباته، وما تسألوني كيف، لأن هذي أسرار دينية ". (كندا نيوز ٢٤)، كذلك تصريح وزير للصحة أشار : " استجابة للمطالب الشعبية وتحسباً لظهور الامام المهدي عج (عجل الله فرجه) تم عمل خطة طوارئ عاجلة وتخصيص ميزانية صحية تناسب هذا الحدث الذي ينتظره أبناء شعبنا على أحر من الجمر " (عراقية الحدث).

نائبة برلمانية حالية عن محافظة البصرة طالبت ب " تخصيص أرض سكنية في البصرة للمهدي المنتظر عج ". (الحدث). بينما دعت نائبة برلمانية سابقة : " يجب على الدولة تخصيص حساب في البنك المركزي العراقي تودع فيه مخصصات صاحب الزمان ولا يجوز التصرف بها إلا من قبله عند ظهوره ". (كندا نيوز ٢٤).

أحدهم سيد بعمامة سوداء ذهب أبعد من ذلك حيث طالب رئيس مجلس الوزراء الحالي علي الزيدي بـ : " جمع الأموال المصادرة من الملقى عليهم ووضعها في حساب مصرفي يخص الإمام الحجة وهو موجود في بنك طهران المركزي، فهذه الأموال تخص الامام ولا يمكن التلاعب بها من أي جهة كانت ". (للعلم لا يوجد بنك في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بهذا الاسم !).

وقد قيل " شر البليّة ما يُضحك ". فالأمر الذي يثير الحيرة أكثر حول تخصيص هذا الراتب الشهري (أنه لم يجر تحديد مقداره وهل هو بالدولار أو بالعملة المحلية الدينار أو بالتومان الايراني؟) للامام المهدي.

قد يكون من الصعب تصديق ذلك على غير العراقي ويعتبرها من نسج الخيال، لفرط غرابتها، ولكن هذا ما صرحت به، بجدية، شخصيات تبوأت مراكز مهمة في السلطات التنفيذية والتشريعية مثل رئيس مجلس الوزراء الاسبق نوري المالكي والنائبة الولائية حنان الفتلاوي إضافة إلى مدير البنك المركزي العراقي السابق علي العلاق وغيرهم من صفوة الإطار التنسيقي الشيعي الحاكم.

أن محاولة اشراك الإمام المهدي الذي يحظى باحترام المؤمنين، من خلال سردية ظهوره بعد غياب دام 14 قرناً، في فسادهم وتخصيص جزءا من سرقاتهم له هو تدنيس لسمعته وآل بيته. وتحويله وقدسيته إلى ملاذ وحامي لهم من الغضب الشعبي.

انها، ببساطة، ردود فعل خادعة ومسعى للالتفاف على الترحيب الشعبي العارم ب " صولة الفجر " التي أدت إلى اعتقال صغار الفاسدين على أمل الوصول الى حيتان الفساد الكبيرة.

السردية الشيعية حول المخلص، صاحب الزمان أو الإمام المنتظر تشير أنه يأتي " لِيَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْمًا ". وهو الأمر الذي يتناقض مع أفعال القابضين على السلطة ويتنافى مع أهداف ظهوره جملة وتفصيلاً.

تماديهم لم يتوقف عند الأموال المسروقة بل يجري تداول بيانات بان سلاح الفصائل والميليشيات الشيعية لن يُسلم إلا للامام شخصياً عند ظهوره وليس للدولة، لكي يحتفظوا بالسلاح واستخدامه في التسلط على الناس ومصادرة ممتلكاتهم وحرياتهم. لتأكيد أنهم هم من ملئوا الأرض جوراً وظلماً.

ان ثرائهم السريع من خلال صفقات الفساد والاتاوات ومكاتب أحزابهم الاقتصادية يبقى غير شرعياً ومداناً حسب القانون الوضعي كما هو حرام حسب الشرع الإلهي،، ولا يلغيه أي ادعاء بالانتماء للامام المهدى والولاء له.

مكافحة الفساد تبدأ من تفكيك منظومة الفساد وشبكتها المتلازمة ومساءلة الجهات القضائية ومؤسسات الرقابة الرسمية كل من أثرى من الأحزاب وقادتها وكل المقربين منها، " من أين لك هذا ؟".

إنهم دنسوا سردية الإمام المنتظر الإمام الثاني عشر للشيعة واصابوا المذهب الشيعي في مقتل !!!

***

آراء حرة

إيران والحرب الهجينة بالعراق (2)

زكي رضا

شهد العراق بعد عام 2003 ظهور وانتشار العديد من الفصائل المسلحة، وأعلن العديد منها ولائها لإيران ولولي الفقيه علنا، وأستفادات من أشكال مختلفة من الدعم الايراني عن طريق مستشارين للحرس الثوري، من الذين ساهموا نتيجة خبرتهم في المجال الأمني والعسكري بقمع أنتفاضة تشرين/ أكتوبر. ومن الضروري أيضا الاشارة الى الدور التي لعبته هذه الفصائل في مواجهة تنظيم داعش الأرهابي ودحره، بعد أن أصدر السيد السيستاني فتوى الجهاد الكفائي. لكن استمرار وجود فصائل مسلحة خارج سيطرة الدولة، يجردها (أي الدولة) من أحد اهم سماتها أي أحتكار السلاح، كما أن وجود حكومة وبرلمان ومؤسسات لوحدها لا تعني قيام دولة. وقد أشار توماس هوبز في معرض تعريفه الدولة واحتكارها لـوسائل العنف من أن الأفراد(الشعب): "يتنازلون عن حقهم في استخدام القوة لصالح سلطة مركزية (الدولة) مقابل الحصول على الأمن والسلام ومنع الفوضى"، فيما ذهب ماكس فيبير الى ابعد من ذلك حينما عرف الدولة من أنها: "الجماعة التي تنجح في احتكار الاستخدام المشروع للعنف المادي داخل إقليمها". ومن خلال التعريفين نعود من جديد الى أن وجود فصائل مسلحة لها نفوذها وترتبط بمشاريع أجنبية، يضعف القرار الوطني وتعطي قوة أكبر للجهة الخارجية التي تستخدم هذه الفصائل كجزء مهم، في حماية مصالحها و تأثيرها على التوازنات السياسية داخل البلد المستهدف.

أن الحرب الهجينة تشمل كذلك المجال الاقتصادي، وفي الحالة العراقية فأن التنظيمات السياسية التي توالي إيران ، ومن خلال العلاقات الاقتصادية ومجال الطاقة الحيوي الذي عجز العراق عن ايجاد حلول كفيلة لمعالجته طيلة فترة ما بعد الاحتلال لليوم وغيرها، تحولت وتتحول الى مجالات تأثير في القرار السياسي العراقي من قبل إيران. أن الأشكالية في الملف الاقتصادي لا تكمن في طبيعة العلاقات الاقتصادية بين البلدين التي هي أمر طبيعي، خصوصا أنهما دولتان متجاورتان تربطهما علاقات متنوعة ومنها تاريخية. لكنها تكمن في طبيعة العلاقة والتفاوت الكبير في حجم التبادل التجاري، والذي هو لصالح إيران التي لها سوق واسعة بالعراق، الذي يعاني أصلا من أنهيار القطاعين الزراعي والصناعي، ويتخلف عن جميع دول المنطقة في ملف الطاقة الحيوي.

العلاقات الاقتصادية بين الدول أمر طبيعي، بل يمكن أن تكون عامل استقرار وتعاون عندما تقوم على أساس التكافؤ والمصالح المشتركة. وفي حالة العراق وايران وكونهما دولتان متجاورتان وتربطهما علاقات تاريخية طويلة، فمن الطبيعي أن تكون بينهما علاقات تجارية واقتصادية. لكن الإشكالية لا تكمن في وجود العلاقة الاقتصادية بحد ذاتها، بل في طبيعتها وتوازنها. فعندما تكون العلاقة قائمة على اعتماد طرف على آخر في قطاعات أساسية وحيوية، أو عندما يكون هناك تفاوت كبير بين حجم التبادل التجاري وقدرة طرف في التأثير على آخر، فإن الاقتصاد يمكن أن يتحول من مجال للتعاون إلى أداة من أدوات النفوذ والهيمنة، خصوصا وأن الأدوات السياسية الايرانية داخل العراق، تمنعه (أي العراق) من التوجه الى أسواق أخرى أو تعمل على عرقلة علاقاته الأقتصادية مع محيطة الأقليمي.

لو القينا نظرة بسيطة على حجم التبادل التجاري بين البلدين نرى أنه يميل لصالح ايران بشدة. فحسب تصريحات الأمين العام للغرفة التجارية الإيرانية العراقية جهان بخش شيرازي سنجابي "بلغ حجم التبادل التجاري بين العراق وإيران نحو 12 مليار دولار خلال عام 2024" ، مع إعلان الجانب الإيراني "تطلعه إلى رفعه إلى 15 مليار دولار العام 2026" . وفي المقابل، لم تتجاوز الصادرات العراقية إلى إيران سقف الـ 754 مليون دولار خلال العام نفسه، أن العلاقات غير المتوازنة هذه تمنح الاقتصاد الإيراني حضورا واسعا في السوق العراقية، خصوصا وان العراق يعاني من ضعف قطاعيه الزراعي والصناعي، واعتماده على الاستيراد في العديد مما يحتاجه سوقه، ومنها الطاقة.

واحدة من أخطر أشكال الحرب الهجينة، هي عملية تشكيل وعي جمعي ممكن السيطرة عليه ومن ثم توجيهه، بما يخدم مصالح الدولة التي تشن مثل هذه الحرب. وللدين مكانة خاصة في مجتمعنا، كما لعبت المؤسسة الدينية ومعها العشائرية أدوارا مختلفة في تاريخ العراق السياسي، وكان لها ثقلها نتيجة غياب الاحزاب بداية تشكيل الدولة العراقية، قبل أن يتراجع دورها بعد تشكيل الاحزاب الوطنية، وبناء مؤسسات حجّمت تأثير رجال الدين في الحياة السياسية والأجتماعية لاحقا، بعد سن قوانين مدنية بديلا عن "القوانين" النابعة من الفقه، وخصوصا في مجالات الزواج والارث والتعليم.

بعد العام 2003 لعبت المؤسسة الدينية كأطار للأحزاب والمنظمات الاسلامية وأذرعها العسكرية، وللعلاقة المذهبية بين العراق وايران ونتيجة نظام المحاصصة، وتقسيم المجتمع على اسس طائفية وعرقية، وما نتج عنها من حرب طائفية. فأن الحرب الهجينة أصبحت مرتبطة بالهوية والعقيدة، لتصبح أدوات تبرير لمشاريع سياسية تتقاطع ومصالح شعبنا ووطننا. وهنا وللأسف الشديد تحول الأنتماء الديني والمذهبي ليكون بديلا عن الانتماء الوطني، وهذا ما نلاحظه من ضعف هذا الأنتماء لدى شرائح من شعبنا، والتي لعب الأعلام من خلال عشرات الفضائيات، والمنابر والمناسبات الدينية، والمراقد والمزارات والتي تناسلت بشكل كبير بعد العام 2003، دورا كبيرا في ترسيخه. لذا فأن ما تفرزه الحرب الهجينة لا يكمن في تأثيرها في القرارات السياسية وتوجيهها حيث مصالح

تتمة ص التالية

بيان اللجنة المركزية للاحتجاج في العراق واللجنة التنسيقية للحوار الوطني

أيها الشعب العراقي الكريم ..

يمر عراقنا الحبيب بمرحلة تاريخية مفصلية لا تقبل المساومة ولا تحتمل التردد؛ مرحلة تقتضي الوقوف بحزم بوجه كل من يعبث بمقدرات هذا البلد العظيم، والعمل الجاد للخلاص النهائي من أخطبوط الفساد الذي نخر مؤسسات الدولة، وأضر بجميع طبقات شعبنا الصابر، بدءاً من المواطن البسيط الذي سُلبت منه أدنى مقومات الحياة الكريمة، مروراً برواتب الموظفين والشباب المطالبين بالفرص والوظائف، وصولاً إلى أزمات الخدمات الأساسية وفي مقدمتها ملف الكهرباء ومسلسل سرقة المال العام.

إن استقرار العراق وسيادته خط أحمر لا يمكن التغاضي عنه، ومن هذا المنطلق فاننا نطالب:

اولاً ـ استمرار عمليات حصر السلاح بيد الدولة بعيداً عن الإملاءات الخارجية و كذلك حملة مكافحة الفساد ومحاسبة كبار الفاسدين وشمول جميع المتورطين دون استثناء أو حصانة ودون تسويات فوق القانون، وبشفافية كبيرة للشعب لما حصل ويحصل قادماً .

ثانيا ـ إخضاع الجميع لسقف القانون والعدالة، ومكافحة الكسب غير المشروع واستغلال المناصب، ويجب ان يكون قرار السلم والحرب بيد الدولة حصراً لضمان هيبة المؤسسات.

ثالثا ـ ندين أي اعتداء على الأراضي العراقية ايا كانت جهته ويجب مواجهته بمواقف حكومية حازمة تجعل العراق سيداً لنفسه، كما نرفض أي إملاءات خارجية تحاول النيل من كرامة العراق وسيادته.

رابعا ـ نثمن الدور البطولي الكبير لأبطال الجيش العراقي، والقوات الأمنية جميع صنوفها ، ونترحم على أرواح الشهداء السعداء، ونطالب بكافة حقوق الجرحى والشهداء وعوائلهم.

كما نؤكد ان الدور المهم في هذه المرحلة يُعنى به القضاء بالدرجة الاولى والشعب ينتظر الخطوات الاصلاحية بفارغ الصبر.

إن العراق لن يكون ساحة لتصفية الحسابات ولا مأوى للمفسدين، وسيبقى بوعي أبنائه وبسالة قواته دولة قوية، مقتدرة، وذات سيادة كاملة.وسيكون لأبناء العراق موقفا شعبيا مركزيا في بغداد خلال الايام القليلة القادمة نصرةً للعراق الجريح والخلاص من المفسدين.

عاش العراق حراً شامخاً
والرحمة والخلود لشهدائنا الأبرار

إيران والحرب الهجينة بالعراق

الدولة الخارجية فقط، بل يكمن ايضا بما هو أخطر ومستدام ، أي التأثير في العقل الجمعي وإن أمكن مصادرته، وهذا ما يحصل عند نسبة لا يستهان بها من أبناء العراق، لذا نرى إن النفوذ الايراني يبدو طبيعيا وليس عملا خارجيا على الرغم من الأشارات التي تشير الى التدخلات الايرانية في شؤون البلاد. أن مقاومة أي احتلال عسكري هو أسهل بكثير من محاربة نفوذ ديني وطائفي وثقافي له أرضية خصبة، وهذا ما ينطبق على التغلغل الايراني بشؤون البلاد. أن عملية أعادة بناء الدولة والهوية الوطنية ستتعقد وتطول أكثر، كلما بقي نظام المحاصصة الطائفية على قيد الحياة.

وسائل التواصل الاجتماعي والفضاء الالكتروني لهما مكانتهما المهمة في الحرب الهجينة، فالفضاء الالكتروني يعتبر عاملا مؤثرا في هذه الحرب. ونتيجة لما يمكن الاشارة اليه من توفير مجالات للحشد والتعبئة عن طريقها في العراق، نرى هناك دور كبير منحته ولاءات محلية لغرض بسط نفوذ قوى خارجية على القرار السياسي العراقي. أما وسائل التواصل الاجتماعي المحلية وكثرة منصاتها ومنها مئات الوهمية منها إن لم تكن اكثر، فانها لعبت وتلعب أدوارا تخريبية عند المنعطفات السياسية واثناء الانتخابات. فهذه المنصات تغرق الفضاء الالكتروني بمعلومات زائفة، أو تستخدم أساليب تسقيط تجاه من ينتقد سياسات اجنبية لتدخلها بشؤون البلاد، وخصوصا الأقليمية منها. وفي حالة الانقسام الطائفي التي تعيشها بلادنا، فان هذه المنصات قادرة على تعميق الخلافات السياسية وتحويلها الى خلافات مذهبية وصراع على الهوية، وهذا ما تحتاجه القوى الدولية والاقليمية تحديدا، لبسط نفوذها السياسي والاقتصادي والاجتماعي للبلاد.

إن تناول النفوذ الإيراني في العراق لا يعني تجاهل أدوار القوى الإقليمية والدولية الأخرى. فالعراق بعد عام 2003 أصبح ساحة تنافس بين مشاريع متعددة ولم يكن النفوذ الإيراني الحالة الوحيدة في هذا المجال فالولايات المتحدة مارست نفوذ واسع، سياسي وعسكري بعد إسقاط النظام السابق وكانت لها اليد الطولى في بناء النظام السياسي بعد احتلالها للبلاد في العام 2003 .

ولتركيا ودول الخليج وقوى اقليمية ودولية اخرى تأثيرات مختلفة على السياسة العراقية واقتصادها. وهذا لا يعني قوة القوى الدولية والاقليمية فقط، بل ضعف الدولة العراقية ومؤسساتها. ويبقى النفوذ الايراني هو الاكثر عمقا ووضوحا، نتيجة التشابك التاريخي والجغرافي والاجتماعي، ودور التنظيمات السياسية وشبه العسكرية التي تأسست بعضها في ايران كما اسلفنا، والتي أمست جزء من بنية النظام السياسي الرئيسية والمؤثرة.

إن العراق بحاجة قبل كل شيء إلى حكومة قوية تضع مصالح شعبنا ووطننا فوق مصالح الأحزاب والمحاور الخارجية. حكومة قادرة على بناء دولة تمتلك القرار السياسي الوطني المستقل، وقادرة على أن تلعب دورا جيوسياسيا فاعلا في منطقة هو جزء فاعل في رسم مستقبلها..

لكن السؤال الصعب ليس: ما هو الحل؟ فالحل معروف حتى عند المواطن البسيط الذي عانى ويعاني من سياسات حكومات أفقرته وبلاده ، ونهبت ثرواته نتيجة الفساد المستشري بكل مفاصل الدولة. الحل هو: قيام دولة قوية، ومؤسسات مستقلة، وقرار وطني يضع مصالح البلاد في مقدمة برامجها. وهنا يأتي السؤال الأكثر صعوبة: من يمتلك القدرة السياسية على القيام بهذا الدور التاريخي في ظل ظروف العراق الحالية؟

إذن فالمشكلة ليست في غياب الأفكار أو عدم معرفة ما يحتاجه العراق وسبل خروجه من أزماته، بل في غياب القوى السياسية القادرة على تحويل هذه الحاجة الماسّة إلى مشروع دولة. فمعركة شعبنا الحقيقية لا تكمن في مواجهة التدخلات الاجنبية فقط، ، بل ببناء قوى وطنية عراقية تجعل الدولة هي المرجعية الأولى والأخيرة في القرار السياسي والأمني والاقتصادي.

وهنا يكمن السؤال الأكبر: هل يستطيع العراق إنتاج هذه القوة الوطنية التي تعيد له دوره الطبيعي في المنطقة وتبني البلاد وتضع حدا للفساد، أم يبقى ساحة لتنافس القوى الأقليمية والدولية؟

تعتمد إيران في العراق على استراتيجية الحرب الهجينة (المركبة) لتوجيه القرار السياسي وفرض النفوذ عبر أدوات تتجاوز المواجهة العسكرية..

آراء حرة

« الوطن بين دائرة السياسة وإغتيال الإبداع »
في الذكرى الثامنة عشر لأغتيال المثقف كامل شياع

د. عامر صالح

في الثالث والعشرين من شهر آب 2026 مرت الذكرى الأليمة الثامنة عشر لاستشهاد المثقف والمناضل كامل شياع (1954-2008) الذي تم اغتياله في الثالث والعشرين من آب 2008 على طريق محمد القاسم وسط بغداد في وضح النهار برصاص مسلحين خارجين عن القانون من مسدسات كاتمة للصوت وسجل الحادث الاجرامي كالعادة ضد مجهول , ولحد اليوم لم يتم الكشف عن القتلة المجرمين من قبل الحكومات المتعاقبة وهي كالعادة عندما يقتل مثقفا او ناشطا مدنيا او مناضلا من اجل حرية الكلمة يبقى القتلة طلقاء بل ويتمادون في تنفيذ المزيد من الجرائم.

لم يكن اغتيال المثقف كامل شياع اغتيالا عشوائيا كما تجري العادة في شوارع العراق يوميا والتي تحصل لكل مواطن قد يخرج صباحا للحصول على لقمة عيشه ولم يعود حيا إلى أسرته بل هو اغتيال ممنهج لرموز ثقافة البديل التنويري التي تحمل مشروع الخلاص من أرث ثقافة القطيع الدكتاتورية والطائفية السياسية والأثنية البغيظة, وكان لموقعه مستشارا لوزير الثقافة دلالة واضحة في مغزى اغتياله.

المناضل كامل شياع من بين الألوف الذين فقدهم الوطن خلال أكثر من عقدين من تجربة عراق ما بعد الدكتاتورية، ولم يعرف إلى اليوم، مَن هذا الذي يوجه بقتل مثقف حالم، له مشروعه الذي لا يملك غيره. نتذكر هنا المصير المشابه للناقد قاسم عبد الأمير عجام الذي اغتيل في أيار (مايو) 2004، وأسماء أخرى من المثقفين والأعلامين والصحفيين كثيرة نجهل من الذي قتلها، ومن هو التنظيم أو الكيان أو المليشيات التي خططت لمثل هذه الجرائم البشعة، ولكن نقيض مشروع كامل شياع من قوى الظلام والتخلف والأنحطاط هي التي تعرف قتلته أسوة بمعرفتها من قتل المحتجين في انتفاضة تشرين للعام 2019.

كان مشروع الشهيد كامل شياع يستهدف في ملامحه الكبرى تفكيك بنية العقل القطيعي الذي انساق وراء قيم الدكتاتورية وما بعدها من قوى الظلام والرثاثة والأنحطاط وأعادة بناء الثقافة العراقية الوطنية على أسس احترام تفرد العقل العراقي وعدم وقوعه تحت تأثير الخرافة والشعبوية والطائفية السياسية التي تجرد العقل من قدراته النقدية والأبداعية وتحوله إلى كائن همجي يرتكب الفضائع والجرائم ويضفي عليها قدسية مزيفة ويفرح لأعمال الأبادة والقتل والخراب.

شكل اغتيال كامل شياع ضربة لنظام العدالة في العراق، وكانت سياسة الإفلات من العقاب بعد مقتله علامة على انطلاق سلسلة من جرائم الاغتيالات والتغييب شملت العديد من الناشطين والمثقفين والمدافعين عن حقوق الإنسان وحرية التعبير. إن السياسة الممنهجة في اغتيال وتغييب رموز الاحتجاج المدني، والقتل العشوائي والطائش لقمع محتجي المدن العراقية في انتفاضة تشرين في العام 2019، وعجز السلطات عن معرفة الجناة أو تجنبها ملاحقتهم أو رمي الجرائم برقبة ما يسمى " الطرف الثالث " أو " قاتل مجهول " جميعها تجد جذورها في تلك اللحظات المأساوية التي اخترقت فيها العيارات النارية جسد الراحل. إن العيارات التي اغتالت حلماً عراقياً تجسد في الأنسان النموذج، حطمت ايماننا بنظام العدالة الذي نفتقده في هذه السنوات العسيرة التي يمر بها العراق من اللاأستقرار والفوضى والفساد.

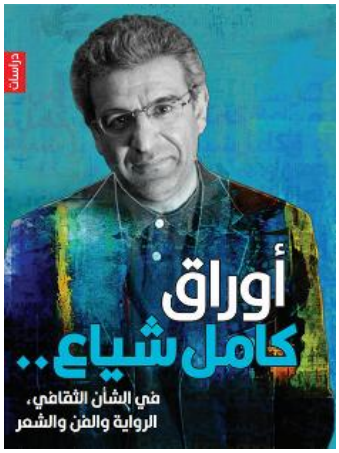

لقد استشهد كامل شياع في حقبة ما يسمى "الحرب الطائفية " والتي راح ضحيتها آلاف العراقيين الأبرياء قتلوا لأتفه الأسباب بما فيها القتل على الأسم بل والمهنة والعائلة وعلى شبهات مفتعلة وهو صراع في جوهره على السلطة والمال وفرض خطاب بلون قسري واحد والأنتقام من تنوع الأنتماءات المغايرة وكان بأمكان هذا الصراع ان يدار بوسائل اكثر انسانية تسمو فوق الغرائز البدائية ولكن قوى التوحش والسلاح المنفلت والهمجية المفرطة لن تسمح بذلك، وقد قتل كامل شياع ليست لدينه او مذهبه او أثنيته فالجميع وكل من عرفه لا يعرف تلك الأنتماءات في سلوكه اليومي بل حتى قتلته لا يعرفون ذلك عنه ولكنهم قتلوه لمشروعه العابر لتلك الأنتماءات الضيقه انه مشروع الثقافة الوطنية العراقية.

لقد وجد كل من عرف الشهيد شياع وتألم لفقده انه شخصية ملؤها الطيبة والحب للناس وعقل انساني مفكر مبدع وملتصق بوطنه رغم المخاطر التي شعر وتنبأ بموته مبكرا وكان مفعما بالأمل في زمن الفوضى والهمجية وكان أنيسا بكلامه الهادئ و ودودا بطيبة نادرة. لقد قتل صناع الموت كامل شياع لا لكونه مثقفا عقلانيا فحسب بل مدافعا عن حقوق البسطاء والمحرومين ونصيرالمبدعين والفنانين ومدافعا عن الفكر الجاد وقد اختار الهمج قتله لكونه نقيا فهو نموذج معاكسا للفساد والظلامية والأمل بعراق آدمي متصالح مع ذاته.

تتمة ص التالية

الدولة الفاضلة... بين حادثة الدورة وإلغاء تأشيرة وزيرة وخيول عالية!!

حادثة الدورة

قد يكون ما نقوله مختلفا قليلا عن كل ما قيل بشأن مقتل العميد هشام في حادثة الدورة، التي استشهد فيها العميد وأحد أفراد القوات الأمنية على يد مسلح خارج عن القانون، فالقاتل والمقتول كلاهما ضحايا!. نعم، لا تستغرب من كلمة (ضحايا)!. القاتل هو ضحية ذلك المسؤول الكبير الذي قام بتقسيم أراضي الدولة وبيعها للمواطنين العاديين، من دون أن يمنعه أحد، ثم حصل المسؤول نفسه من البلدية ومجلس المحافظة على تراخيص لبناء المنازل على تلك الأراضي التابعة للدولة!.

وبعد أن بُنيت المنازل تحت أنظار البلدية والشرطة وجميع الأجهزة الأمنية، صدر الأمر إلى العميد هشام والجهات المعنية بالذهاب وهدم تلك المنازل التي بُنيت بعلمهم وتغاضيهم!. وهكذا، أصبح العميد هشام وأحد أفراد القوات الأمنية ضحيتين لتنفيذ ذلك الأمر، والضحيتان استشهدوا على يد الضحية الأولى نفسها!.

أمريكا تلغي تأشيرة دخول لوزيرة

بعد ادراجها على قائمة الارهاب الأمريكية وإلغاء تاشيرة الدخول !!.وزيرة المالية السابقة (طيف سامي) التي كانت تحجب رواتب أصحاب الدخل المحدود من بين الموظفين العراقيين وخاصة موظفي الإقليم، قد تبيّن بحسب صحيفة (فوكس نيوز) الأمريكية: ليست فقط من أكبر الفاسدين في البلد، بل إنها أيضا واحدة من ممولي الأرهاب في المنطقة، وأن أمريكا وضعتها على قائمة مراقبة الأرهاب الأمريكية!!.

خيول عالية نصيف في مزاد علني!.

نفّذت مديرية تنفيذ الكرادة قرارا قضائيا صادرا عن قاضي محكمة تحقيق جنايات النزاهة المركزية، يقضي بعرض 23 حصانا تمت مصادرتها من مزرعة النائبة عالية نصيف، في مزاد علني!. وبحسب قرار المحكمة، فإن بعض هذه الخيول التي تمت مصادرتها وصدر قرار ببيعها، خيول عربية أصيلة ومرتفعة القيمة، وتُقدَّر قيمتها الإجمالية بأكثر من ملياري دينار عراقي!.

في الذكرى الثامنة عشر لأغتيال المثقف كامل شياع

أرفق هنا للقارئ الكريم رابطين للفقيد كامل شياع، الأول رسالة كانت مرسلة للراحل الباحث الدكتور كاظم حبيب وهي بعنوان" عودة إلى الديمقراطية والمجتمع المدني " ، والرابط الثاني بعنوان" عودة من المنفى " والتي يوضح فيها بعض من تطلعاته الفكرية والثقافية ويتنبأ فيها بأغتياله:

https://m.ahewar.org/s.asp?aid=569703&r=0&cid=0&u=&i=2264&q=
https://m.ahewar.org/s.asp?aid=145727&r=0

أما سيرته الذاتية فأنشرها ادناه نقلا عن موقع المعرفة:

درس وتعلم في مدينته، وتخرج من كلية الآداب جامعة بغداد وتعين كمدرس لمادة اللغة الإنكليزية، لكنه ترك العراق لمعارضته حزب البعث العراقي وسياسة تبعيث النظام التعليمي.

غادر العراق عام 1979 واستقر في مدينة لوڤان البلجيكية عام 1983، بعد إقامة قصيرة في الجزائر حيث عمل مدرساً للغة الإنجليزية، وإيطاليا التي نشر فيها قاموساً، إنكليزي-إيطالي-عربي، للمسافرين ورجال الأعمال.

حصل على شهادة الماجستير في الفلسفة من جامعة لوڤان الكاثوليكية عن أطروحته "اليوتوبيا معياراً نقديّاً" والتي حازت على درجة الامتياز، والتي صدرت عام 2012 عن دار المدى.

خلال سنوات المنفى، وسّع الراحل اهتماماته بالثقافة والفلسفة الأوروبيّة لتشمل الرسم، السينما، المسرح، وفنّ الفوتوگراف.

كتب وحاضر في طيف واسع من المواضيع، ما أكسبه مكانة مرموقة بين أبناء الجاليات العراقية في المنفى، وأقام علاقات صداقة واسعة مع مواطنين من جنسيات وخلفيات مختلفة.

عمل في الصحافة خلال إقامته في مدينة لوفان، وكتب في مواضيع شتّى لصحيفة "الحياة" اللندنية، ومجلة "الوسط" اللندنية، ومجلة "مواقف" الفصلية، ومجلة "الثقافة الجديدة" الشهرية الصادرة عن الحزب الشيوعي العراقي، وراديو "في. آر. تي" الدولي – القسم العربي- بروكسل، وقسم التلفزيون الدولي لوكالة اسوشيتد برس (أي. بي. تي. إن) – بروكسل.

عاد إلى بغداد بعد سقوط نظام صدام حسين عام 2003 وعيّن مستشاراً لوزارة الثقافة، نشط حينها بمحاولة استعادة الثقافة العراقيّة لدورها الريادي والايجابي في المجتمع، ونظّم مؤتمر المثقفين العراقيين عام 2005 .

مؤلفاته

بعد سنوات من وفاته بدأت مؤلفاته تصدر حيث اصدرت دار المدى ثلاثة كتب ضمن سلسلة إصدارات للفقيد ستنشر كلّها تباعاً.

الكتاب الأول: "تأملات في الشأن العراقي" الذي يبحث فيه مآلات البلد وتحولاته في ظلّ "العنف الذي اجتاحنا بقوّته الكاسحة دفعة واحدة"، إذ ترد على ظهر الغلاف الأخير هذه الجملة العميقة: "نحتاج إلى يقظة أخلاقية مسؤولة وإلى أجيال وأجيال تمتلك ناصية التفكير النقدي، ذلك أن (أعداء المجتمع) هؤلاء هم بناة مستقبله."

الكتاب الثاني: "قراءات في الفكر العربي والإسلامي" مناقشاً فيه "التحديد المتبادل في الخطاب القرآني بين العقلاني، واللاعقلاني... وكيف يبدو التاريخ في ضوء هذا الصراع وكأنّه تعاقب متواتر من الهداية والضلال."

الكتاب الثالث فجاء بعنوان "الفلسفة ومفترق ما بعد الحداثة" إذ بحث مضمونه في الأفكار الفلسفية التي شغلت أوروبا ودور مدرسة فرانكفورت وتأثيرها ومن ثمّ اشتباك التاريخ مع أسئلة الحاضر، وعلاقة أفكار ما بعد الحداثة بالأيديولوجيات الكبرى.

كتاب "كتابات في الرواية والشعر والفنّ"

كتاب "رسائل وأمكنة."

عندما استهدفوا المناضل كامل شياع فقد استهدفوا كل ضمير حي يمتلك القدرة على تغير العراق نحو الأفضل. المجد والخلود للشهيد المثقف والمناضل شياع والخزي والعار يلاحق قتلته والصبر دوما لأسرته في الغربة.

كامل شياع باحث وكاتب وفيلسوف عراقي، ولد في بغداد يوم 5 شباط 1954، وهو الابن الثاني لعائلة بغدادية كبيرة. درس وتعلم في بغداد، وتخرج كمدرس لمادة اللغة الإنجليزية، قبل تولي صدام رئاسة.. عمل مستشاراً لوزارة الثقافة العراقية قبل أن يُغتال. رفض الانتماء إلى حزب البعث، مما دفعه لمغادرة العراق عام 1979.

آراء حرة

» الآراء العالمية: نظرة حول الشرق الأوسط «...
اتفاق مكة والهيكل الأمني الجديد للشرق الأوسط

(2)

كورنيليو بيفاريو*

ترجمة : صوت الصعاليك *

أما الصين، فهي تحتل موقعاً مختلفاً؛ إذ تُعد الشريك الاستراتيجي الرئيسي لباكستان، وترتبط بعلاقات اقتصادية واسعة مع السعودية، كما تتعاون مع تركيا رغم وجود خلافات بينهما. وقد تنظر بكين بإيجابية إلى نشوء هيكل إقليمي يقلل من الاعتماد الحصري على الغرب، شريطة ألا يؤثر ذلك على المشاريع الاقتصادية الصينية أو يؤدي إلى تصعيد يهدد ممرات الطاقة. ورغم أن الصين ليست عضواً في الترتيب الجديد ولا ضامنة له، إلا أن علاقاتها مع الدول الثلاث تمنحها تأثيراً غير مباشر على مسار تطور هذا الترتيب. لذا، لا ينبغي النظر إلى "اتفاق مكة" باعتباره مجرد مواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي، أو بين الولايات المتحدة والصين؛ فالدول الثلاث المشاركة تنتمي في آنٍ واحد إلى شبكات استراتيجية متباينة: فتركيا عضو في حلف الناتو، وباكستان شريك استراتيجي للصين، بينما تقيم المملكة العربية السعودية علاقات أمنية وطيدة مع الولايات المتحدة ودول الخليج الملكية. وتكمن السمة المبتكرة لهذا الاتفاق تحديداً في قدرته على الربط بين هذه الانتماءات المختلفة.

رابعاً: من الاعتمادية إلى التعددية الاستراتيجية (أو "الفائض الاستراتيجي")

على مدى العقود الأخيرة، تمحور الأمن في الشرق الأوسط بشكل أساسي حول الوجود العسكري للولايات المتحدة وعلاقات واشنطن الثنائية مع شركائها الرئيسيين. ورغم أن هذا النظام لم يختفِ، إلا أنه بات غير كافٍ للدول التي ترى أن التهديدات أصبحت أسرع وتيرةً، وأكثر تنوعاً، وأصعب تنبؤاً. فقد دفعت الهجمات بالصواريخ والطائرات المسيرة، وأنشطة الجهات الفاعلة من غير الدول، وهشاشة البنية التحتية للطاقة، والتردد السياسي لدى الضامنين الخارجيين، القوى الإقليمية إلى البحث عن آليات إضافية.

يعكس "اتفاق مكة" تحولاً من الاعتمادية الأحادية إلى التعددية الاستراتيجية (أو تعزيز الخيارات الأمنية). ووفقاً لـهـــذا المنطق، لا تستبدل الدولة تحالفاً بآخر، بل تراكم ضمانات متعددة بحيث لا يؤدي ضعف إحداها إلى انهيار منظومتها الأمنية بالكامل. فالرياض تجمع بين شراكتها مع أمريكا، وإطار عمل مجلس التعاون الخليجي، والعلاقة الاستراتيجية مع باكستان، والشراكة الثلاثية الجديدة. وتُكمّل تركيا عضويتها في حلف الناتو بشبكتها الخاصة من العلاقات الإقليمية والصناعية. أما باكستان، فتضيف إلى تعاونها مع الصين وعلاقتها التقليدية بالسعودية منصةً مؤسسية تربطها مباشرة بالشرق الأوسط ومنطقة البحر الأبيض المتوسط.

تكمن ميزة هذا الترتيب في المرونة؛ إذ يمكن للدول تعميق التعاون دون التخلي عن الشراكات القائمة أو الخضوع لمركز قوة واحد. وفي المقابل، تنبع محدودية هذا النموذج من المرونة ذاتها؛ فغياب الالتزامات التفصيلية قد يسهّل التكيف السياسي ولكنه يقلل من القدرة على التنبؤ بطبيعة الرد العسكري. ولا يعزز هذا التعدد الأمني الأمنَ إلا إذا كانت العلاقات المتداخلة تدعم بعضها البعض؛ أما إذا أرسلت إشارات متناقضة، فقد تخلق حالة من عدم اليقين لدى الشركاء والخصوم على حد سواء.

وقد يؤدي البعد الصناعي إلى تحويل الاتفاق من مجرد التزام سياسي إلى شراكة مستدامة؛ إذ يمكن لرأس المال السعودي، والقدرات البحثية والإنتاجية التركية، والخبرة العسكرية الباكستانية أن تدعم التطوير المشترك للطائرات المسيرة، والذخائر، وأنظمة الدفاع الجوي، وتقنيات القيادة والسيطرة. وبالفعل، توجد سوابق مهمة للتعاون وتوطين الإنتاج العسكري التركي في السعودية[8]. ومع ذلك، لا ينبغي اعتبار مثل هذه المشاريع نتائج تلقائية للاتفاق، إذ ستعتمد على التمويل، ونقل التكنولوجيا، وحماية المعلومات الحساسة، ومواءمة المتطلبات التشغيلية.

وقد أصبحت آفاق التوسع أكثر وضوحاً في 8 أغسطس/آب، حين صرح وزير الخارجية التركي، هاكان فيدان، بأنه يتوقع انضمام مصر في مرحلة لاحقة بمجرد تسوية بعض المسائل الفنية. وصف القاهرة بأنها "شريك طبيعي في جميع القضايا"، مشيراً إلى أن الدول الأربع تتصرف بالفعل "وكأنها أعضاء

في تحالف". ورغم الأهمية السياسية لهذا الأمر، إلا أنه لا ينبغي اعتباره تأكيداً لانضمام مصر؛ فقد عبّر فيدان عن توقعات أنقرة، في حين لم يُعلن بعد عن أي التزام مصري رسمي. ومن شأن انضمام مصر مستقبلاً أن يعزز بشكل جوهري الثقل العربي والأفريقي والبحري للتكتل، إذ سيضم الدولة العربية الأكبر من حيث عدد السكان، وواحدة من أكبر القوات المسلحة في المنطقة، والدولة التي تسيطر على قناة السويس. وفي الوقت نفسه، فإن توسيع نطاق التكتل سيجعل عمليات تحديد التهديدات والتشاور واتخاذ القرار أكثر تعقيداً؛ وبالتالي، قد يؤدي التوسع إلى تعزيز النطاق الاستراتيجي للتكتل، مع اختبار تماسكه المؤسسي الذي لم يخضع للاختبار الفعلي بعد في آنٍ واحد.

ملاحظة لاحقة، 9 أغسطس/آب 2026: الاختبار العملياتي الأول يظل غير حاسم.

لا تبرر التطورات التي تلت التوقيع مباشرةً أي تفسير يوحي بالانتصار أو النجاح المؤزر. ففي 7 أغسطس/آب، أعلنت "المقاومة الإسلامية في العراق" - وهي تسمية جامعة تستخدمها فصائل متحالفة مع إيران- عن تأجيل رد كان مخططاً له على الضربات الأمريكية-السعودية الأخيرة. وجاء هذا الإعلان عقب مناشدة من هادي العامري وتدخلات سياسية أخرى، في حين أكد رئيس الوزراء العراقي علي الزيدي لرئيس الاستخبارات السعودية أن الأراضي العراقية لن تُستخدم لشن هجمات ضد دولة أخرى[10].

---

* عضو المجلس الاستشاري لمعهد "إيفيميس"

* المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ** ولا يعكس بالضرورة موقف معهد "إيفيميس" (IFIMES). أو المجلة..

تتمة ص التالية

وقد يوحي التوقيت بأن الاتفاق الجديد أضاف ثقلاً لحسابات المخاطر لدى الميليشيات، إلا أن الأدلة المتاحة لا تثبت وجود رابط سببي مباشر؛ إذ كانت الوساطة السياسية العراقية والضغوط الحكومية تمارس دورها بالفعل، كما أن الفصائل المسلحة لم تحدد الهدف المقصود ولا طبيعة الرد الذي كانت تخطط له.

وبعد يومين، اتضحت أيضاً حدود أي ادعاء بوجود ردع فوري؛ حيث أعلنت حركة الحوثي اليمنية مسؤوليتها عن هجوم بطائرة مسيرة استهدف مصفاة "أرامكو" السعودية في جازان. ورغم إخماد الحريق الناجم عن الهجوم وعدم الإبلاغ عن وقوع إصابات، إلا أن كلاً من تركيا وباكستان لم تشيرا علناً إلى كيفية مشاركتهما في أي رد سعودي محتمل[11]. وتُظهر هذه الواقعة أن الاتفاق لم يمنع فوراً الهجمات التي تُشن عبر وكلاء وبتكلفة منخفضة، وأن آلياته العملياتية ومعايير تفعيله وتوزيع المسؤوليات فيه لا تزال غير محددة.

وعند النظر إلى هذين الحدثين معاً -أي التأجيل العراقي وهجوم جازان- نجد أنهما يدعمان استنتاجاً يتسم بالحذر؛ فربما يكون للاتفاق تأثير بالفعل على التصورات ويرفع التكلفة المحتملة للتصعيد ولو بشكل هامشي، لكن قيمته الردعية تظل غير مثبتة. ولن يتضح ما إذا كان اتفاق مكة قد أوجد آلية أمنية قابلة للتطبيق العملي أم مجرد إشارة دبلوماسية هامة، إلا من خلال سلوك الأطراف الموقعة في ظل أزمة تتطلب التشاور، وتحديد المسؤولية، وطلباً صريحاً للدعم، وتخصيصاً ملموساً للمساهمات العسكرية أو السياسية.

الخلاصة: ليس "ناتو" جديداً، بل شكل من أشكال التحالف لعالم متعدد الأقطاب

لا يؤسس اتفاق مكة حتى الآن لما يمكن تسميته "ناتو إسلامي"؛ إذ لا توجد أدلة علنية على وجود قيادة موحدة، أو قوات مشتركة دائمة، أو إجراءات رد إلزامية، أو تخطيط جماعي يضاهي ما هو معمول به في حلف شمال الأطلسي. ورغم أن هذه التسمية قد تعكس البُعد الرمزي لبند الدفاع الجماعي، إلا أنها لا تصف المستوى الحالي للمأسسة (أي الطابع المؤسسي) للاتفاق.

وتكمن أهمية الاتفاق في جانب آخر. للمرة الأولى، تعمل ثلاث قوى إسلامية تمتلك موارد استراتيجية متكاملة عـلى إرساء رابط صريح يجمع بين مصالحها المتعلقة بالأمن القومي؛ إذ توفر المملكة العربية السعودية رأس المال والمكانة المركزية إقليمياً، وتساهم تركيا بالقدرات التقليدية والتكنولوجية، بينما تقدم باكستان الخبرة العسكرية والثقل الاستراتيجي. ويمكن لهذه الدول مجتمعة أن تشكل نواة لنظام ردع ذي أبعاد عربية وأناضولية وجنوب آسيوية.

لا يعني هذا الاتفاق تخلي الدول الثلاث عن شركائها التقليديين، بل يعكس تكيفها مع نظام دولي لم يعد فيه أي ضامن خارجي يُعتبر كافياً بمفرده. وتستند هذه البنية الجديدة إلى تحالفات متداخلة وشراكات انتقائية، فضلاً عن حرية القوى الإقليمية في التعاون المتزامن مع مراكز قوى مختلفة؛ وهو ترتيب يتسم بخصائص النظام متعدد الأقطاب: فهو أقل جموداً من تحالفات القرن الماضي، ولكنه أيضاً أكثر صعوبة من حيث التنبؤ بمساراته أو السيطرة عليه.

لن تتحدد القيمة الحقيقية للوثيقة بمجرد مراسم توقيعها الرسمية، بل بما سيلي ذلك من خطوات عملية، مثل آليات التشاور، والتخطيط المشترك، وتبادل المعلومات الاستخباراتية، وتحقيق التوافق العملياتي، والمشاريع الصناعية، وقبل كل شيء، سلوك الأطراف الموقعة عند نشوب أول أزمة. فإذا تحول الالتزام السياسي إلى قدرة فعلية وموثوقة على التحرك، فقد يصبح "اتفاق مكة" أحد الركائز الأساسية للنظام الأمني الجديد في المنطقة؛ أما إذا لم يحدث ذلك، فسيظل الاتفاق مجرد رمز قوي، لكنه غير كافٍ لتغيير موازين القوى الاستراتيجية.

وفي كلتا الحالتين، فإن الرسالة التي يحملها الاتفاق واضحة بالفعل: لم تعد القوى الإقليمية تنتظر أن تتولى القوى العظمى وحدها بناء الهيكل الأمني، بل بدأت هي في بنائه بنفسها.

ملحق

البيان المشترك لقمة مكة المكرمة للدفاع المشترك.

بدعوة كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، قام كل من فخامة الرئيس رجب طيب أردوغان، رئيس الجمهورية التركية، ودولة السيد محمد شهباز شريف، رئيس وزراء جمهورية باكستان الإسلامية، بزيارة إلى المملكة العربية السعودية في 24 صفر 1448هـ، الموافق 7 أغسطس 2026م.

وقد استقبل صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، كلاً من فخامة الرئيس التركي ودولة رئيس وزراء جمهورية باكستان الإسلامية في قصر الصفا بمكة المكرمة، حيث عُقدت "قمة مكة المكرمة للدفاع المشترك". وجرى خلال القمة استعراض العلاقات المتميزة التي تجمع المملكة العربية السعودية والجمهورية التركية وجمهورية باكستان الإسلامية، بالإضافة إلى بحث عدد من القضايا ذات الاهتمام المشترك.

وانطلاقاً من العلاقات التاريخية الراسخة بين الدول الثلاث، واستناداً إلى روابط الأخوة والتضامن الإسلامي المتينة التي تجمعها، والبناء على المصالح الاستراتيجية المشتركة والتعاون الدفاعي الممتد، وقّع كل من صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، ولي العهد رئيس مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية، وفخامة الرئيس رجب طيب أردوغان، رئيس الجمهورية التركية، ودولة السيد محمد شهباز شريف، رئيس وزراء جمهورية باكستان الإسلامية، على "اتفاقية مكة للدفاع المشترك". وتجسد هذه الاتفاقية الالتزام المشترك للدول الثلاث بمواصلة تعزيز أمنها الجماعي، ودعم السلم والأمن والاستقرار في المنطقة وخارجها، سعياً نحو مستقبل آمن ومزدهر.

تهدف الاتفاقية إلى تعزيز الردع الجماعي ضد أي عمل عدواني، وتنص على أن أي هجوم مسلح ضد أي من الدول الثلاث يُعد هجوماً عليها جميعاً، كما تنص على تعزيز كافة جوانب التعاون الدفاعي بين الدول الثلاث.

ملاحظة: حتى تاريخ تقديم هذا المقال للنشر، لم يتم الإعلان رسمياً عن النص الكامل لاتفاقية مكة للدفاع المشترك. يعرض النص أعلاه البيان المشترك الصادر عقب القمة، ولا ينبغي الخلط بينه وبين النص القانوني للاتفاقية.

مكة المكرمة، 7 أغسطس/آب 2026

المصدر الرسمي: وزارة الخارجية، حكومة باكستان، "قمة مكة المكرمة للدفاع المشترك"، 7 أغسطس/آب 2026. النص الرسمي باللغة الإنجليزية.

---

* عضو المجلس الاستشاري لمعهد "إيفيميس" (IFIMES).

*** ترجمة: صوت الصعاليك**

تكريم

»أربعة عقود من الحضور في المجال الصحفي والنقابي«...
إتحاد الصحافيين الألماني يكرم الصحفي العراقي عصام الياسري

تكريم الياسري يكتسب خصوصيته من كونه يأتي بعد أربعة عقود من الحضور في المجال الصحفي والنقابي ومن تجربة ثرية واصلت فيها الكلمة ارتباطها بقضايا حرية الرأي والتعبير والحقوق الإنسانية والعمل النقابي.

رئيس هيئة التكريم توماس كوسمار يقدم شهادة التكريم للكاتب والصحفي العراقي عصام الياسري

كرّم اتحاد الصحفيين الألمان(dju) ، المنضوي في اتحاد نقابات الخدمات الموحدة فيردي (Ver.di)الكاتب والصحفي العراقي عصام الياسري، تقديراً لمسيرته الصحفية والنقابية الممتدة لأربعة عقود، وذلك خلال أمسية أقيمت في العاصمة الألمانية برلين لتكريم عدد من أعضاء النقابات الذين أمضوا أربعين عاماً في عضويتها.

وجاء تكريم الياسري وسط تصفيق الحاضرين وعزف الموسيقى، حيث تقدمت لجنة التكريم التابعة للاتحاد لتهنئته، مشيدة بما قدمه خلال مسيرته المهنية والنقابية، ومتمنية له مواصلة العطاء والإنتاج والاستمرار في مواقفه الإنسانية والنقابية.

وتعتز منصة 'ميدل إيست أونلاين' بهذا التكريم الذي حظي به الياسري، باعتباره أحد الكتاب المساهمين فيها بمقالات تحليلية وفكرية ذات قيمة، تناولت قضايا سياسية وإنسانية وثقافية متعددة. وبهذه المناسبة، تتقدم المنصة بالتهنئة إلى الكاتب والصحفي العراقي، متمنية له مزيداً من النجاح والعطاء ومواصلة حضوره في المشهد الإعلامي والفكري.

وأقيمت الأمسية مساء الثلاثاء 18 أغسطس/ آب في حديقة مقر اتحاد نقابات 'فيردي'، الواقع على ضفاف بحيرة 'فانزي' في الجنوب الغربي من برلين، بحضور عدد كبير من الأعضاء والمسؤولين وممثلي النقابات المنضوية في الاتحاد، في أجواء صيفية امتزج فيها جمال المكان برمزية المناسبة.
ولـم يـكن الحفل مـجرد مناسبة لتقديم شهادات التكريم واستعادة أسماء المكرمين، بل شكّل وقفة أمام أربعة عقود من العمل والالتزام والعطاء المهني والنقابي، وما تختزنه هذه السنوات من تجارب وتحولات تركت بصماتها في حياة أصحابها وفي مسيرة النقابات التي ينتمون إليها.

وينضوي اتحاد الصحفيين الألمان (dju) ضمن اتحاد نقابات 'فيردي'، الذي يضم قطاعات مهنية متعددة، من بينها العاملون في الإعلام والثقافة والفنون والكتابة والترجمة، إلى جانب مجالات التعليم والعلوم والخدمات اللوجستية.

وتخللت المناسبة كلمات لمسؤولي الاتحاد ولجنة التكريم استحضرت مسيرة المكرمين وما قدموه خلال سنوات عضويتهم الطويلة، إلى جانب فقرات موسيقية أضفت على اللقاء بعداً إنسانياً وثقافياً، وجعلت من الاحتفال مساحة للقاء واستعادة الذكريات وتبادل التحيات بين أجيال مختلفة من العاملين في مجالات الإعلام والفن والثقافة والعمل النقابي.

وفي المكان المطل على مياه 'فانزي' الهادئة، بدت السنوات الأربعون وكأنها تختصر مسافة زمنية طويلة، لكنها في حقيقتها تختزن أحداثاً وتحولات عميقة عاشتها ألمانيا وأوروبا، وواكبها المكرمون كل من موقعه ومهنته ومجاله، محافظين على صلتهم بالعمل النقابي وحضورهم في الحياة المهنية والعامة.

اتحاد الصحفيين الألمان يحتفي بالكاتب والصحفي العراقي عصام الياسري

وافتتح الحفل توماس كوسمار (Thomas Cosmar)، رئيس منطقة برلين في اتحاد 'فيردي'، وسوزانه فيلدكوتر (Susanne Feldkötter)، عضو إدارة منطقة برلين، بكلمتين استعادا خلالهما محطات بارزة من العقود الأربعة التي تفصل بين بداية عضوية المكرمين في النقابات وما وصلت إليه ألمانيا اليوم.

برلين: 2026/08/20

MEO
Middle East Online

وقد مرت هذه السنوات على مرحلتي ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية، ثم شهدت سقوط جدار برلين والوحدة الألمانية، وما رافق تلك التحولات من تغييرات عميقة لم تقتصر على السياسة والاقتصاد، وإنما امتدت إلى حياة الإنسان والمجتمع ومفاهيم الحقوق والحريات.

غير أن استعادة تلك المحطات التاريخية لم تأت بوصفها مجرد سرد لأحداث الماضي، بل اتخذت من التجربة الألمانية مدخلاً للتأكيد على قضايا لا تزال مطروحة بقوة في الحاضر، وفي مقدمتها حقوق الإنسان وحرية الرأي والتعبير والدفاع عن السلم العالمي ومواجهة العنصرية بكل أشكالها.

وارتبط الحديث عن أربعة عقود من العمل النقابي بالمسؤولية التي تفرضها العضوية تجاه المجتمع والإنسان. فالنقابة ليست إطاراً مهنياً لحماية المصالح والحقوق المهنية فحسب، وإنما يمكن أن تكون أيضاً مساحة للدفاع عن الحريات العامة، وعن حق المواطن في المعرفة، وعن حق المجتمع في الوصول إلى الحقيقة.

ومن هنا برزت أهمية الدور الذي يواصل الصحفيون والإعلاميون القيام به، باعتبارهم في مقدمة من تقع عليهم مسؤولية كشف الحقائق وعدم السماح بإخفائها أو التلاعب بها. فحرية الصحافة لا تكتسب قيمتها من النصوص القانونية وحدها، وإنما من قدرة العاملين فيها على ممارسة مهنتهم باستقلالية وشجاعة وطرح الأسئلة الصعبة.

وفي هذا السياق، جاءت الدعوة إلى النقابات وأعضائها، ولا سيما العاملين في الصحافة والإعلام، إلى عدم السماح لأي سلطة، أياً كان موقعها، باحتكار الحقيقة أو إخفائها أو توظيفها

تتمة ص التالية

بما يتعارض مع مصالح المواطنين، وهي دعوة تكتسب أهمية خاصة في زمن أصبحت فيه المعلومة أداة للتأثير السياسي والاجتماعي، وأصبحت محاولات التضليل والتلاعب بالرأي العام أكثر تعقيداً.

أما لحظة تكريم عصام الياسري، فلم تكن بالنسبة إليه مجرد استعادة لأربعين عاماً مضت، بقدر ما كانت وقفة أمام مسيرة ارتبطت فيها الصحافة بالموقف، والكلمة بالمسؤولية، والمهنة بقضايا الإنسان. فالأعوام الطويلة لا تُقاس بالزمن وحده، وإنما بما تتركه من تجارب ومواقف وصداقات وذكريات، وبما تحمله من أسئلة يظل الصحفي يعود إليها كلما تغيرت الظروف وتبدلت الأزمنة.

ويكتسب تكريم الياسري خصوصيته من كونه يأتي بعد أربعة عقود من الحضور في المجال الصحفي والنقابي، ومن تجربة واصلت فيها الكلمة ارتباطها بقضايا حرية الرأي والتعبير والحقوق الإنسانية والعمل النقابي. كما يمثل التكريم احتفاءً بتجربة صحفية حافظت على حضورها رغم التحولات الكبيرة التي شهدها الإعلام خلال العقود الماضية، ومن بينها مساهماته بمقالات تحليلية وفكرية في منصة 'ميدل إيست أونلاين.'

وفي مثل هذه المناسبات، لا يصبح التكريم نهاية لمسيرة، وإنما تذكيراً بأن الطريق ما زال مفتوحاً؛ فالكلمة الحرة لا تتقاعد، والموقف الإنساني لا تنتهي صلاحيته بانتهاء مرحلة مهنية، كما أن الدفاع عن حرية الرأي وحقوق الإنسان والسلام ومناهضة العنصرية يظل مسؤولية تتجدد مع كل جيل.

ولعل الأهم في تكريم من أمضوا أربعين عاماً في العمل النقابي والمهني أن المناسبة لا تحتفي بالماضي وحده، بل تضع أمام الحاضر والمستقبل سؤالاً أكبر: ماذا سنفعل بما تعلمناه من هذه العقود؟ وهل تستطيع الأجيال الجديدة أن تحافظ على قيمة النقابة، وعلى استقلال الصحافة، وعلى حق الإنسان في أن يعرف ويعبّر ويختلف دون خوف؟

كانت تلك، في النهاية، دلالة الأمسية الأعمق، فبين مياه 'فانزي' الهادئة، والموسيقى والتصفيق، وشهادات التكريم، لم يكن الاحتفاء بأربعين عاماً مجرد احتفاء بأشخاص أمضوا سنوات طويلة في مواقعهم، بل كان احتفاء بفكرة الاستمرار نفسها؛ استمرار العمل، والدفاع عن الحقوق والحريات، والإيمان بـــأن الإنسان يستطيع، بالكلمة والموقف والعمل الجماعي، أن يترك أثراً يتجاوز سنوات عمره المهني.

وهكذا انتهت الأمسية، لكن معنى التكريم بقي مفتوحاً على المستقبل: أن تكون أربعون عاماً مضت دافعاً لمواصلة الطريق، لا محطة للوصول. وبالنسبة إلى عصام الياسري، كان التكريم تقديراً لمسيرة صحفية ونقابية طويلة، واحتفاءً بكاتب لا يزال يواصل حضور الكلمة والتحليل، وهو ما تفخر به 'ميدل إيست أونلاين' وهي تهنئ أحد كتابها ومساهميها بهذا التكريم.

وفي هذا المعنى تحديداً، يأتي تكريم عصام الياسري باعتباره تقديراً لمسيرة مهنية ونقابية طويلة، واحتفاءً بالكلمة التي تواصل حضورها وتأثيرها، وهو ما تفخر به 'ميدل إيست أونلاين' وهي تهنئ أحد كتابها ومساهميها بهذا التكريم المستحق.

---

* **ميدل ايست أونلاين**

** إلى ذلك، فقد نشرت العديد من الصحف والمواقع خبر التكريم ـ كما أرسل العشرات ـ من كتاب وصحفيين وفنانين وسياسيين رسائل تهاني تتحدث عن شخصية صاحب التكريم ـ **منها:**

الأستاذ العزيز عصام الياسري الأكرم،
سلام عليك،
أهنّئك بهذا التّكريم البهيّ السّنيّ الّذي يزهو بقامة كبيرة من قامات الإعلام، راجيًا أن تكون مشمولًا دائمًا بالخير والصّحّة.
دمتَ على عطائك الدّفّاق.
مع الاحترام،
د. إياس ناصر/ حيفا

الف مبروك للأستاذ عصام الياسري هذا التكريم المستحق. اربعون عاماً من الامانة للكلمة، والدفاع الصادق عن الحقوق والحريات، مسيرة حافلة بالانجاز والنزاهة نفخر بها جميعاً.
د. محمد الربيعي/ لندن

صباح النور والخيرات والتبركات والتهاني ... مثلك يستحق ما هو أكثر فمتى يفيق العراق ليحتفي بك ويكرّمك ؟ تحياتي والورود والفرح وتمام الصحة.
د. عدنان الظاهر/ ميونيخ

النجاح يليق بك سيد عصام الياسري... لك فائق تقديري، مع تمنياتي لك بمزيد من العطاء و التوفيق
د. سناء شامي/ البندقية

الأستاذ عصام الياسري المحترم..مبارك لكم هذا التكريم الذي يليق بمسيرة حافلة بالعطاء، مع خالص التقدير والاعتزاز، متمنين لكم دوام التألق ومزيدًا من الإنجازات.
د. وليد حسين عويد / العراق

الى الأستاذ عصام الياسري المحترم :
تحية طيبة ،
بكل فخر وسرور أبعث لكم مباركتي وتهنئة خاصة لكم بمناسبة تكريم اتحاد الصحفيين الألمان بمناسبة اربعين عاما على عضويتك ، وهذا وسام للعراق الذي تمثل بشخصية الصحفي والكاتب عصام الياسري الذي كان خير سفير لبلده ، امنياتي لك المزيد من التقدم والتوفيق
الناقد: علي المسعود

موقع صحيفة التآخي
مساء الخير استاذ عصام
ابارك لكم التكريم من قبل اتحاد الصحفيين الالمان متمنيا لكم دوام التوفيق والسؤدد
الاعلامي جواد كاظم/ بغداد

الف مبروك استاذ عصام الياسري ، تستحق التكريم عن جدارة واحتراف ، فقد أفنيت عمرك في عمل إعلامي دؤوب .. تمنياتي لك بالتوفيق والنجاح دائماً
المؤرخ د. خزعل الماجدي/ هولندا

طاب نهاركم عزيزي عصام ، انتهز هذه الفرصة لأقدم إليكم أحر التهاني بهذه المناسبة لحصولكم على هذا التكريم فأنتم اهل لهذا التكريم ، تقبلو مني خالص تحياتي من مدينة هايدلبيرك
الفنان كاميران طه

كل التهاني والتبريكات بمناسبة هذا التكريم المستحق لقلم عراقي أثبت حضوره ومهنيته. إنه تقدير يضاف إلى مسيرتك الصحفية الحافلة بالعطاء، وفخر للصحافة العراقية والكفاءات العراقية في المهجر.ألف مبارك سيد عصام، مع خالص الأمنيات بمزيد من التألق والنجاح.
الفنانة والإعلامية: آمال البكري

تكريم تستحقه ولمزيد من الإنجاز
مع ودي واحترامي
ايمان شاكر العظم:

نعتذرُ لكلِ منْ لمْ يردْ اسمه، ونتقدمُ بجزيلِ الشكرِ والتقديرِ لكلِ منْ راسلْ أوْ اتصلَ بالأستاذِ عصامِ الياسري. كما نؤكدُ بأنَ التكريمَ في حدِ ذاته، فخرٌ لكلِ العربِ والعراقيين.

أسرة التحرير

غزة تتضور جوعا.. لتتوقف جرائم الإبادة الجماعية

" قطاع غزة يتضور جوعا. لا توجد قطرة واحدة من حليب الثدي لـ 186 طفلاً يولدون كل يوم. 90% من أطفال غزة يتناولون وجبة واحدة أو أقل من وجبة واحدة في اليوم. لا يوجد تخدير ولا مستشفيات يمكن للأمهات الحوامل المستضعفات الولادة فيها لأن مستشفى الولادة قد دمر... "

إنعدام المساعدات وتدهور حياة الفلسطينيين في الضفة وغزة

ووفقاً لوسائل الإعلام في القطاع، نفذت القوات الإسرائيلية أيضا عمليات هدم واسعة النطاق في مناطق خاضعة لسيطرتها جنوب شرق مدينة غزة طوال يوم الجمعة.

الجوع في أنحاء غزة

تأتي موجة الهجمات الأخيرة رغم سريان "وقف لإطلاق النار" تم التوصل إليه بوساطة أمريكية منذ أكتوبر 2025، وفي ظل استمرار معاناة قطاع غزة من انعدام حاد في الأمن الغذائي يعاني ابناء الضفة من نقص في المواد الغذائية والصحية مع استمرار قوات الأمن الصهيوني في اضطهاد المواطنين.

فيما أظهرت بيانات جديدة أصدرها برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة يوم الخميس 27 آب أن ما يقارب 46% من الذين شملهم الاستطلاع في غزة - أفادوا بأنهم خلدوا إلى النوم وهم يشعرون بالجوع مرة واحدة على الأقل خلال الأيام الثلاثين الماضية. و7 في المائة من الأسر بأنها خلدت إلى النوم وهي تشعر بالجوع لأكثر من 10 مرات خلال تلك الفترة، في حين ذكرت نصف الأسر أنها عانت من نفاد الطعام تماما لمرة واحدة على الأقل.

كما أظهر تحليل الأمن الغذائي الذي أُجري في شهر أغسطس أن 21 في المائة من الأسر المشمولة بالاستطلاع كانت تكتفي بتناول وجبة واحدة يوميا. وقد قلصت نحو 38% من الأسر عدد الوجبات اليومية، بينما عمدت 17% إلى تقييد كمية الطعام التي يتناولها البالغون يوميا لإعطاء الأولوية للأطفال.

وأفادت ثلاثة أرباع الأسر التي شملها الاستطلاع بوجود صعوبات في الوصول إلى الأسواق، حيث برز نقص السيولة النقدية وارتفاع أسعار المواد الغذائية كأبرز العوائق في هذا الصدد.

ولا يزال الوصول إلى الغذاء مقيدا بشدة في ظل القيود الإسرائيلية المفروضة على دخول البضائع؛ إذ يبلغ متوسط عدد الشاحنات التي تدخل قطاع غزة يوميا - منذ سريان وقف إطلاق النار العام الماضي- 217 شاحنة وفقا لبيانات برنامج الأغذية العالمي، وهو رقم يقل كثيراً عن الـ 600 شاحنة يوميا التي نص عليها اتفاق وقف إطلاق النار.

وجدد وزير الدفاع الإسرائيلي تهديده بطرد الفلسطينيين من أي مناطق تُطلق منها طائرات ورقية أو بالونات في قطاع غزة.

" حرب إسرائيل على غزة ".. إلى أين تفضي؟ فلسطين... شهادة في وجه التعتيم الإعلامي

غارات إسرائيلية، تؤدي... بمقتل فلسطينيين في غزة

أثر غارات قام بها طيران الكيان الصهيوني يوم 28 آب/أغسطس على قطاع غزة، تسفر عن مقتل خمسة أشخاص، بينهم ثلاثة من عائلة واحدة.

وتأتي هذه الموجة الأخيرة من الهجمات في وقت يواصل فيه الفلسطينيون في أنحاء القطاع مواجهة انعدام حاد في الأمن الغذائي.

فقد استهدفت غارة شنتها طائرة مسيّرة إسرائيلية مجموعة من الفلسطينيين في وقت مبكر من صباح الجمعة شمالي خان يونس بجنوب القطاع، مما أدى إلى مقتل ثلاثة أفراد من عائلة "عابدين"، وذلك حسبما أفادت مصادر طبية لمراسلي الجزيرة؛ وقد نُقلت جثامينهم إلى مجمع ناصر الطبي في المحافظة.

فيما أفادت وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) بمقتل فلسطيني في هجوم إسرائيلي آخر استهدف حي الصبرة بمدينة غزة، حيث أطلقت طائرة مسيّرة صاروخا على مجموعة من المدنيين؛ وقد نُقل جثمان حسن الديري وعدد من المصابين إلى مستشفى الشفاء في المدينة.

كما طال هجوم ثالث خيمة للنازحين في منطقة المشاهرة شرق مدينة غزة، مما أسفر عن مقتل شخص وإصابة آخرين.

وشن الجيش الإسرائيلي أيضا غارة في مدينة جنين بالضفة الغربية المحتلة يوم الجمعة 28 آب، مما أدى إلى مقتل ثلاثة فلسطينيين. وحدد الجيش هوية أحدهم ويدعى قيس بيتاوي، زاعماً - دون تقديم أدلة - أنه عنصر في حركة حماس.

وادعى الجيش الإسرائيلي كذلك، ودون تقديم أدلة، أنه قتل قائدين فلسطينيين - أحدهما من حركة حماس والآخر من حركة الجهاد الإسلامي - في هجومين منفصلين على مدينة غزة يوم الخميس.

آراء حرة..

عن الإمبريالية في طور مبتذل وقديم!!..

حسن خضر*

نعود، اليوم، إلى غزة، لا لتكرار الكلام المتداول، في السائد من الأخبار، والفاضي في حالات كثيرة، بل لتبديد سلطته بوصفها قاصرة ومُضللة. ومدخلنا مجلس السلام الترامبي بوصفه مشروعاً ينتمي إلى نوع قديم ومُبتذل من الإمبريالية اعتقدنا أنه انتهى منذ زمن بعيد: امبريالية المشروع الاستعماري، الذي يموله مستثمرون أفراد كشركة خاصة، ويحظى برعاية دولة المركز، وحمايتها، ليستقل عنها في نهاية الأمر، أو يصبح امتداداً عضوياً لها.

في البال شركة الهند الشرقية، التي شكّلها وموّلها تجار لندن، كشركة مساهمة خاصة لتجارة القطن والتوابل في الهند، في بداية القرن الثامن عشر، وانتهى بها الأمر بالسيطرة على شبه القارة الهندية، ونهبها، وتشكيل حكومتها وجيشها الخاص بوصفها امتداداً للمركز الاستعماري، وأغلى جواهر التاج البريطاني، وأكثرها ربحية.

وفي البال الشركة البريطانية لجنوب أفريقيا، التي أسسها رجل الأعمال سيسيل رودس، في آخر عقود القرن التاسع عشر، لاستعمار واستغلال موارد وسط وجنوب أفريقيا. نالت الشركة التفويض من الحكومة البريطانية، وامتلكت شرطة خاصة، وصلاحية التجارة، وتوقيع الاتفاقيات، وإدارة المناجم، والسكك الحديدية. وفي النهاية أنشأ المستعمرون البيض دولة روديسيا على اسم رودس نفسه.

وفي البال المستعمرات الأولى في أميركا الشمالية، التي وفّر مواردها المالية والبشرية التجار الإنكليز، وتوسّعت على حساب السكان الأصليين، الذين جعل منهم المستعمرون الأوائل ضحية اوّل حرب من حروب الإبادة. ولنذكر، هنا، تشخيص الناقد البلغاري اللامع تودوروف لفتح أميركا بوصفه بداية للأزمنة الحديثة، وكلامه عن حرب الإبادة بوصفها وثيقة الصلة بالأزمنة الحديثة أيضاً .

تتسع قائمة الشركة الخاصة كرأس حربة للاستعمار لتمثيلات أكثر، في مناطق مختلفة من العالم، بطبيعة الحال. وما يعنينا في كل هذه الحالات أن القاسم المشترك بينها هو مبادرات تجارية خاصة تُتوّج بالحصول على "تفويض" أو "اعتراف" أو "ترخيص" من المركز الامبراطوري كمصدر للشرعية.

ويمكن في سياق كهذا العثور على أوجه كثيرة للشبه بين كل ما ذكرنا ومجلس السلام الترامبي.

لم يعد في وسع المركز الإمبراطوري في القرن الحالي إضفاء شرعية على شركات خاصة تنتمي إلى الطراز الاستعماري في القرنين 18 و19، فقد تغيّرت المرجعيات القانونية، والضوابط الاقتصادية، والحساسية اللغوية، والمسوّغات السياسية والأيديولوجية، التي تجيز الاستيلاء على قطعة من الأرض في مكان ما، والتحكّم بمصير ما في باطنها من ثروات، وعلى سطحها من بشر وحجر. وفي سياق كهذا، نشأت الحاجة إلى وجود مصادر جديدة ومختلفة للشرعية. وهذا ما تقوم به الأمم المتحدة، والهيئات الدولية ذات الصلة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

حصل مجلس السلام الترامبي ـ لم يكن من قبيل المصادفة الإعلان عنه في ملتقى رجال المال والأعمال في دافوس السويسرية ـ على شرعيته من خلال القرار 2803 الصادر عن مجلس الأمن، والمؤيد لخطته بشأن غزة. واللافت، في هذا الشأن، أن المجلس الذي تم الإعلان عنه، وتوقيع ميثاقه، في المدينة المذكورة، أعلن عن نفسه كمنظمة تُعنى بحل النزاعات الدولية.

لم ينتبه الكثيرون للخدعة الترامبية، ولكن جريدة الغارديان البريطانية كانت سبّاقة في اكتشافها، وعلّقت على الإعلان بالقول: "كما حدث مع كثيرين اشتغلوا بزنس مع ترامب، تصرفت الأمم المتحدة كضحية كلاسيكية، حين بلعت الطعم، وتغيّرت البضاعة ."

القصد أن الأمم المتحدة أرادت وقف الإبادة بأي ثمن. كانت غزة هي الطعم، بينما لم تُذكر بالاسم في ميثاق المجلس الترامبي. لم يسقط اسمها سهواً، بل كان غيابه ضرورياً لتمرير طموحات صريحة ومضمرة بشأنها من ناحية، ومد آفاق النموذج الغزي إلى صراعات أُخرى في العالم، أيضاً .

ومع هذا كله في البال، تُضفي تعبيرات من نوع "المنظمة الدولية" و"حل النزاعات" على المجلس الترامبي دلالات مضللة، وتحجب حقيقته. فمن الأسلم التفكير في المجلس المذكور كمشروع خاص بترامب وعائلته وشركاه في الولايات المتحدة ومناطق مختلفة من العالم، بما فيها الشرق الأوسط.

يُعزز الميثاق المُعلن في دافوس دلالة المشروع العقاري والاستثماري الخاص فيمنح ترامب سلطة حصرية تخوّله إقرار أو رفض ما يصدر عن المجلس من قرارات، ناهيك عن البت في أمور العضوية والموازنة والانفاق، بل وحتى طرد المُخالفين.

وعلاوة على هذا كله، يتحلى المجلس (ترامب، طبعاً، أو من ينوب عنه، وعلى رأس هؤلاء جاريد كوشنر على الأرجح) بصفة اعتبارية، بالمعنى القانوني، تخوّله توقيع العقود، وحيازة، أو التصرّف في، أملاك منقولة وغير منقولة، والقيام بإجراءات قانونية، وفتح حسابات مصرفية، والحصول على، أو صرف، الأموال العامة والخاصة، وتوظيف الأفراد. والواقع أن "الأملاك المنقولة وغير المنقولة" من مفاتيح صندوق العجب الترامبي، التي يجب ألا يسقطها الفلسطينيون من حساباتهم.

اللافت أن رسوم العضوية الدائمة بمليار دولار، والعضوية العادية ومدتها ثلاث سنوات، بمبالغ غير محددة، ولكنها تُحسب بالملايين، عُوملت كعلامة إضافية على ميل ترامب إلى المبالغة، وشطحاته الغريبة، ولم تفسّر كرأسمال يعود على كبار المساهمين بفرص استثمارية أكبر، وامتيازات أفضل .

والأهم أن كل ما يتصل بالمجلس وصلاحيات رئيسه، وشروط عضويته، يُعيد التذكير بطور من أطوار الامبريالية اعتقدنا، حتى وقت قريب، أنه من مخلّفات الماضي. ومن المفارقات اللاذعة، التي يمد فيها التاريخ لسانه بطول شبرين، أن بين الإبراهيميين شركاء في المشروع الترامبي ـ الإسرائيلي المزدوج للاستيلاء على أرض الفلسطينيين.

فاصل ونواصل

---

* حسن خضر / كاتب فلسطيني

سرديات

»ستالين... وقشرة البصلة«

د. عبد الحسين شعبان

حين نشرتُ مقالتي الموسومة "هل كان ستالين مثقفًا؟"، وردتني العديد من الرسائل والاتصالات والملاحظات الإيجابية والسلبية بخصوصها، وبعضها تعليقات طريفة ومثيرة في الآن، أحاول تلخيصها لمشاركة جمهور القراء لما يمكن أن يكون له دلالة وفائدة: أولها؛ يتعلّق بالذاكرة، فقد كتب لي أكثر من صديق فيما يتعلّق بذاكرتهم وذاكرتي بخصوص ستالين، وفيما يلي أدوّن ما جاء في رسالة صديق عتيق يقول الآتي: "لقد جئت على ذكر وفاة ستالين في ديوان الكوفة غاليري بلندن العام 1994، وهو ما علق بذاكرتي، وقد قرأته في كتاب صدر لك لاحقًا (1995) بعنوان: "بعيدًا عن أعين الرقيب ـ محطات بين الثقافة والسياسة"، حيث تقول: حين عُدتُ من المدرسة وكنت حينها في الصف الثالث أو الرابع الابتدائي، فوجدت جو المنزل وقد خيم عليه وجوم شديد، ولاحظت أن عيني عمي شوقي الزرقاوين الجميلتين قد اغرورقتا بالدموع واحمرّتا، وعيني عمي ضياء الشهلاوين في حالة حزن شديد ووجهه ممتقع، وحين سألت ما الذي حصل؟ فعرفت أن رئيس الشيوعية في العالم توفاه الله، وصمت للحظات، ولكنني سألت مرة أخرى وبطفولية ساذجة، وهل ستلبس جدتي (بيبيتي) السواد حزنًا عليه؟ وتلك عادة كانت النساء عندنا تتبعها حين ينتقل إلى "رحمة الله" عزيز علينا". (انتهى الاقتباس بتصرّف).

كنتُ قد شاهدت صورة ستالين للمرة الأولى في كتاب عمي شوقي (المدرسي)، وكانت حينها مستمسكًا جرميًا لو عُثر عليها من جانب جهاز "التحقيقات الجنائية" (الأمن العام)، ولا أُذيع سرًا إذا قلتُ إنني أُعجبت بهيأته وشاربيه الأنيقين، وقلت مع نفسي حين أكبر ويكون لي شاربان سأنسقهما على الطريقة الستالينية التي كانت مألوفة ومتّبعة كجزء عاطفي من الانتماء أو الهوية السياسية. لم يمرّ الحادث الطفلي عليّ مرور الكرام، وإذ بي بعد ثلاث سنوات أسمع أن المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي (1956)، أدان ستالين بتقرير قدّمه نيكيتا خروتشوف زعيم الحزب، وكانت تبريرات جماعتنا لأول وهلة أنها "دعاية إمبريالية سوداء"، لكن الأمر أخذ بالتدرّج وبالاطلاع وتراكم المعلومات يبدو أقرب إلى الصحة، بل صحيح، وهو ما اقتنعتُ به. كانت تلك الحيرة الإيمانية التبشيرية الأولى التي وقعت بها، وأنا فتى أخطو خطواتي الأولى في العمل العام، وأسمع من الكبار ما ظل عالقًا بذهني، حيث كانت الأسئلة تكبر لديّ، وهي أسئلة مدافة بالنقد أحيانًا، والتي يتفرّع عنها أسئلة أخرى تبقى مفتوحة بحثًا عن الحقيقة والعقلانية، التي كنا نزعم أننا نمتلكها لوحدنا. وتلك كانت قشرة البصلة الخفيفة التي ظلّت متأرجحة في ذهني باقتفاء أثر الروائي والشاعر الألماني غونتر غراس الحائز على جائزة نوبل، "ولكلّ مرحلة قشرة بصلتها". ***

ثانيها؛ تقييم فترة حُكم ستالين، وأشير هنا إلى مقالة كتبها الصديق العزيز ضرغام الدبّاغ (دكتوراه في التاريخ من جامعة لايبزك) بعنوان "ستالين ما له وما عليه"، وذلك تعليقًا على مقالتي المشار إليها، وقد عرّفني عليه في الشام الصديق علي كريم، وقدّمه لي باسم "الرفيق ياسين" في جبل قاسيون، ويخيّل لي أن اللقاء كان في صيف العام 1973، وأعجبتُ برأيه ومتابعته الثقافية، وبعد فترة قصيرة علمت أنه عاد إلى العراق، وترك موقعه في القيادة القومية (السورية) لحزب البعث، ثمّ عُيّن في سفارة العراق في برلين، وحين أكمل الدكتوراه عاد إلى العراق لكنه اصطدم بالبيروقراطية الإدارية، وكان العراق حينها مشتبكًا بحرب ضروس مع إيران دامت 8 سنوات، فقرّر مغادرة العراق عبر كردستان، ولكن ألقي عليه القبض في السليمانية وحُكم عليه بالإعدام، وكذلك شقيقه وسام، ثم خُفّض الحكم إلى المؤبد، وهو ما سمعته من الصديق أمير الحلو زوج شقيقته ابتسام عبدالله، حين التقيت به في الجزائر، وكنتُ قد عرفت القصة عبر أحد الشيوعيين الناجين من الإعدام بعد إعدام زوجته وشقيقها، ولكن الله وحده كان وراء إنقاذ حياته ونجله (13 عامًا)، وقد سعيتُ للحصول على لجوء سياسي له في هولندا. قدّمت هذه السيرة والمسيرة المميزة المكثفة لكي يطلع القارئ

عليها ويعرف أي تأثير تركه ستالين على جيلنا من شتّى الاتجاهات السياسية، يقول ضرغام: لقد قذف بنا عبد الحسين شعبان إلى الخمسينيات والستينيات وإلى بدايات وعينا المبكر، ثم يتناول القيادي البعثي السابق بإعجاب "المنجزات المبهرة" لفترة ستالين، حيث يقول: وشاهدت المنجزات الاشتراكية ومجتمعات تسودها عدالة اجتماعية وبشر أحرار يتمتعون بصحة بدنية ونفسية سليمة، (وذلك بعد زيارته إلى الاتحاد السوفيتي السابق)، ويمضي إلى القول: ونكاد نجزم أنه لولا ستالين لما كان هناك الاتحاد السوفيتي، ولا البلدان الاشتراكية... ويخلص للقول: لقد كان ستالين قائدًا سياسيًا فذًا واستراتيجيًا عبقريًا استطاع بذكاء وحنكة مقارعة أساطين الاستعمار والإمبريالية، وفرض وجود الاتحاد السوفياتي كقوة عالمية. (انتهى الاقتباس بتصرف). ***.

وثالثها؛ الدلالة المقارنة بالجانب المعياري وليس التفسيري لأنظمة التحرّر الوطني، فقد كتب لي الصديق سلام الراوي، المهندس الاستشاري الأقدم في أمانة العاصمة ببغداد، حكاية عاشها في سبعينيات القرن المنصرم، محفزًا ذاكرته، ومستوحيًا من مقالتي عن ستالين وتعقيب ضرغام الدباغ، يقول: نُظمت ندوة الإنتاجية (1976)، وقد حضرتها بقاعة إحدى النقابات في منطقة الحارثية ببغداد، وكانت بإشراف السيد النائب حينها صدام حسين، فسأل أحد المهندسين الذي أخذ يستعرض منجزات عمله في دائرته السابقة، فطلب منه أن يتحدّث عن منجزات دائرته الحالية، وحين تلكّأ طلب منه العودة في اليوم الثاني، ولم يكن موفقًا، فطلب منه الخروج فورًا، ثم أُبعد إلى السليمانية لمدة عام. وبعدها

---

* كاتب ومفكر

تتمة ص التالية

جاء دور (ع.م)، فبدأ حديثه بالقول لنتذكر مقولة ستالين، والتي مفادها: نعدم عدة أبرياء ليستقيم الأمن والنظام، (وبالمناسبة سمعت ذلك من الرفيق عامر عبد الله نقلًا عن طه ياسين رمضان الجزراوي، علمًا بأن عامر عبد الله قدّم مداخلة مهمة في ندوة الإنتاجية وبحضور صدام حسين، ولاقت استحسان الأخير). يقول الصديق سلام: عاتبتُ المتحدث (م) على قوله، فأجابني وهو ما ذكره في مقابلات لاحقة بعمّان أن صدام يعشق سياسات ستالين، وهو ما يريد أن يسمعه، وهكذا أصبح قريبًا منه. إقرأ على موقع 180 غورباتشوف لو إستطاع تقليد التجربة الصينية *** لعل هذه السرديات الثلاث بما فيها من ذكريات ومواقف وإيحاءات دلالية ومعان، تشير إلى التأثير المباشر وغير المباشر الذي تركه ستالين على جيلنا، وإذا كان ثمة إعجاب ما يزال لدى البعض بسيرته ومسيرته، ليس في روسيا وحدها، بل خارجها أيضًا، فهذا ليس غريبًا، وقد استمرّ القيادي الشيوعي آرا خاجادور في تمجيد ستالين طيلة حياته، ولم يصدّق أو لا يريد أن يصدّق أن نموذجه المثالي يتهشّم أمام عينيه. وهناك من يُبدي إعجابه بهتلر أيضًا، وثمة حركات نازية جديدة، وحركات شعبوية عنصرية وجدت الجو مناسبًا لتفقيس بيضها في أوروبا خلال العقد ونيّف المنصرم، وترافقت مع فترة صعود دونالد ترامب إلى السلطة في الولايات المتحدة (ولايته الأولى 2017 – 2021). أقول إن الطغاة، بغض النظر عمّا قاموا به وما فعلوه من ارتكابات وآثام، ولكنهم بالتأكيد يتركون أثرًا سياسيًا أو اجتماعيًا، وقد يحققون منجزات مهمة، وهذا ما نجده في جميع الحضارات القديمة التي بناها طغاة أيضًا، فلم تقم الأهرامات إلّا على أكتاف عشرات الآلاف من عمّال السخرة، ولكنها عمل عظيم بلا أدنى شك، وهذا ليس محطّ اختلاف أو خلاف، فقد عمل ستالين على تحويل الاتحاد السوفيتي إلى دولة صناعية وقوّة عسكرية كبرى، ولاسيّما في الصناعات الحربية، لكن الاختلاف حول دكتاتوريته وتسلّطيته وفرديته. ***

حين قرأت ثلاثية إسحاق دوتشير حول تروتسكي، النبي المسلح والنبي الأعزل والنبي المنبوذ، وقبلها "ستالين: سيرة سياسية"، أدركت حقيقة الصراع بين توجهين أحدهما يدعو للثورة العالمية المفتوحة (تروتسكي)؛ والثاني لمشروع بناء الدولة الاشتراكية وعدم تصدير الثورة (ستالين)، لكن ذلك شيء وكونه ارتكب ما لا يُحصى من الآثام بحق رفاقه وبحق الدولة السوفيتية، فضلًا عن ذلك بحق القيم الاشتراكية الإنسانية، فهذا شيء آخر، وهو ما يشير إليه الدباغ أيضًا، فبوخارين محبوب الحزب (كما يسميه لينين أُعدم وابنه المهندس باعتبارهما جاسوسين)، وتروتسكي (المنشق وأحد مفكري الحزب الكبار لوحق إلى المكسيك وقُتل بساطور)، وزينوفيف وكامينيف وكيروف ونحو 165 ألف عضو وكادر، ونحو مليون و200 ألف مواطن انتهت حياتهم لوشاية أو اختلاف أو عدم رضا، ومن اللجنة المركزية وحدها أعدم ستالين 98 عضوًا من أصل 139، أي حوالي 70%، وهذه بعض الأرقام التي يوردها الدباغ، وأكتفي بها.

وعلى ذكر المفارقة العراقية (1979)، فقد أعدم صدام ثلث أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث (5 من مجموع 15)، وحكم على 33 قياديًا وكادرًا بأحكام غليظة، توفّي بعضهم في السجن، في محكمة قاعة الخلد الحزبية الصورية، والتي لا تنطبق عليها معايير الحد الأدنى للمحاكمة العادلة، وذلك إثر اتهامهم بالتكتّل والمؤامرة، بمن فيهم عبد الخالق السامرائي، الذي كان سجينًا منذ العام 1973. بتقديري أن الخلفيات واحدة، فالأفكار والأنظمة الشمولية، بغضّ النظر عن تسميتها، تزعم امتلاكها للحقيقة وتدّعي الأفضليات على الآخر، وتنظر إلى الاختلاف باعتباره خطيئة في ظل قواعد صارمة بلحاظ خضوع الأدنى للأعلى والأقليّة للأكثرية، والتنفيذ اللّاشرطي لقرارات القيادة حتى لو كانت خاطئة أو ضارة، وكلها مفردات مستلّة من كتاب لينين "ما العمل؟" الصادر في العام 1903، والذي أساسه يتكون من مفردتين متعارضين، بل متناقضين، هما الديموقراطية والمركزية، فكيف تستقيم الديموقراطية مع المركزية؟ والكتاب أساسه ردّ على أطروحات مارتوف، الذي اتّهم بالليبرالية والتسيّب لعدم موافقته على الصرامة في عضوية الحزب والمركزية الشديدة، وبالمناسبة فإن جميع أحزابنا العربية هي ذات خلفية لينينية وطبعة ستالينية، لا فرق بينها، سواء كانت شيوعية أم قومية أم بعثية أم إسلامية من حيث تراتبية تنظيماتها وهيئاتها وصلاحيات قياداتها، ولاسيّما رأسها (أمينها العام). ***

أخلص إلى القول إن التعليقات والتعقيبات بخصوص ستالين تدلّ على أننا بحاجة إلى إعادة قراءة مرحلته والتأثيرات التي تركها على الأحزاب الشيوعية وأحزاب حركات التحرّر الوطني كما أطلقنا عليها، بما فيها فلسفة التنظيم وأبعادها وارتباطها بالسياسة وغاياتها، فلا غايات شريفة ونبيلة دون وسائل شريفة ونبيلة، و"الوسيلة من شرف الغاية"، والأخيرة بعيدة وغير ملموسة، في حين أن الوسيلة هي آنية وراهنة، وهذا ما يواجهه الناس وما يقيسون عليه سلوك وتصرفات القادة والزعماء بغض النظر عن منجزهم الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي، فذلك "فرض عين وليس فرض كفاية". مرة أخرى أقول قد يكون الزعيم أو القائد غير مثقف بما فيه الكفاية، وهو ما يؤشر إليه العديد ممن كتبوا عن سيرة ستالين، لكن المهم أن يكون إلى جانبه خبراء ومستشارين سياسيين وعسكريين وأصحاب رأي وعلماء اجتماع واقتصاد وفقهاء قانون ومثقفون وغيرهم، يستمع إليهم ويأخذ برأيهم ويتعامل بإنسانية حتى مع خصومه، فما بالك مع رفاقه، فلم يعد مقبولًا في الدولة العصرية الحديثة غير ذلك، وأصبح من أولى أولويات التحوّل الاجتماعي مزاوجته بقواعد سياسية تقوم على الحريّات وعدم احتكار العمل السياسي والنقابي، والإقرار بالتنوع والتعدديّة، فضلًا عن تداولية السلطة سلميًا، والحق في استبدال الحاكم، إضافة إلى قضاء عادل ومستقل، لأن نتيجة أنظمة القمع والاستبداد، حتى وإن حقّقت منجزات اجتماعية واقتصادية وثقافية، ستصل إلى طريق مسدود، ويؤدي إلى انهيارها إن آجلًا أم عاجلًا، وهو ما بينته التجربة الاشتراكية لنحو سبعة عقود من الزمن، وكذلك تجارب أنظمة التحرّر الوطني. ولعلّ ذلك درس علينا أن نتعلّمه وأن نستفيد من عِبره.

قصائد

»أسوار بلا أبواب«

سينو إبراهيم

1-(رسالة الحجر)

أيها الناس
تظنون أنني صامت
لكنني أحمل في مسامي أكثر من ألف كتاب
وأعرف أصوات الذين مروا فوقي حفاةً وجائعين
وأعرف وقع سنابك الخيل وهي تجرّ وراءها جثث المدن.
أنا الحجر
رأيتُ الملوك يرفعون قصورهم على ظهري
ثم رأيتُ الغربان ترفع فوقها أعشاشها
رأيتُ الأطفال يكتبون أحلامهم بالطبشور على جداري
ثم جاءت المدافع ومسحت كل الحروف.
في داخلي عيون لم تُغلق
وصرخات ما زالت عالقة بين طبقاته.
كل ضربة مطرقةٍ على جسدي
تفتح فماً قديماً يصرخ من جديد.
لا تقولوا عني جامداً
فأنا أكثر منكم حياة
أنتم تنسون سريعاً
أما أنا فأحمل الذاكرة الثقيلة
دمعة الأم التي سقطت عند عتبة البيت
صرخة الأب الذي لم يجد ابنه تحت الركام
ضحكة العرس التي تحولت فجأةً إلى عويل.
أيها الناس
إذا أردتم أن تعرفوا تاريخكم الحقيقي
فلا تقرؤوا كتب المؤرخين
بل ضعوا أذنكم على صدري
واسألوا ذاكرة الحجر.

2- (رغيف مؤجل)

احترقت السنبلة قبل الحصاد
فشبع اللهب من عمرٍ كامل ولم تذق منه الأرض حبة واحدة.
**
كانت تحمل رغيف قرية كاملة في قلبها
لكن النار وصلت إليها أسرع من الجياع.
**
كانت تنحني استعداداً للحصاد
فظنت النار أن انحناءها استسلام.
**
لم يكن يؤلمها الاحتراق
بل أنها كانت على بُعد أيام قليلة من معنى وجودها.
**
كانت السنابل الحية تنظر إليها وهي تحترق
كما ينظر ركاب السفينة إلى أول الغرقى.
**
وقفت عاماً كاملاً على ساق واحدة
ثم جاءت النار قبل أن تتعلم كيف تستريح.

3- (وعدٌ مكسور)

في طفولتي
كنتُ أركضُ نحو الغد
كأنه عيد
الآن..
أمشي نحوهُ ببطء
كأنه موعد مع خيبة.
******
الطفل الذي
في صورتي القديمة
ينظرُ إليّ الآن
كما ينظرُ الابنُ
إلى أبٍ
كسرَ وعده.

4- (أخاف أن تحبني)

أحبها
لكنني أخاف أن تحبني
فالحب حين يأتي من قلبٍ آخر
يصبح مسؤولية
وأنا لا أملك سوى قلبٍ فقير
لا بيتاً أستطيع أن آخذها إليه
ولا مستقبلاً أطمئنها به
لذلك كنت أخاف من الشيء
الذي أتمناه أكثر من أي شيء
أن تنظر إليّ ذات يوم... وتحبني

5-(صوتكِ)

أفتشُ عن صوتكِ
في التسجيلات القديمة
كأنني أحاول إنعاش قلبٍ
توقف منذ زمن.

خيول عالية نصيف

علي حسين

تخيّل المواطن العراقي المسكين المحاصر بغياب الخدمات ومليارات نور زهير التي تبخرت، وملاعيب العديد من ساسة الفضائيات، وهو يقرأ الخبر الذي يقول: "مديرية تنفيذ الكرادة تعرض 23 حصاناً تمت مصادرتها من مزرعة النائبة عالية نصيف في المزاد العلني، تبلغ قيمتها نحو 2 مليار دينار عراقي"، بالتأكيد سيتخيل المواطن مثلما يتخيل "جنابي" النائبة الهمامة عالية نصيف أيام ما كانت تملأ الفضائيات صراخاً وضجيجاً عن "النزاهة وأخواتها"، ثم تشرح للمشاهدين كيف أنها تحارب الفساد ليل نهار.

كنت أتمنى أن لا أعود إلى الكتابة عن النائبة التي تقضي "الويك إند" في السجن، لكن ماذا أفعل يا سادة وخيول السيدة النائبة تلاحقني، مثلما كانت تلاحقني تصريحاتها عن الفاسدين والسراق، وعن رئيس الوزراء أبو الخبزة، وعن عبقرية محمد شياع السوداني، وقبلها عن القوى الخارقة التي كان يمتلكها نوري المالكي، وقبل هذا وذاك عن كرم إياد علاوي معها وكيف أجلسها على كرسي البرلمان.. سنوات طويلة وعالية نصيف تملأ سماءنا بالأحاديث الوردية عن التنمية وعن الازدهار وعن ميثاق الشرف الذي اقترحته ذات يوم، وهي تصرخ: "كافي بعد ما ننهب الدولة."

البعضُ ربما يسخر مني في سرّه ويقول: "حتماً لديك شُحٌّ في الموضوعات، ولهذا عُدتَ تلاحق أحاديث السادة النواب"، لكني يا سادة يا كرام أسمّيها من ضروريات مراجعة الحالة التي مرت بها البلاد، وكما تعرفون فأنا أحب أن أتفلسف أحياناً، وربما أصابني الغرور وأحاول في يوم من الأيام منافسة "مفكر" العراق الأوحد إبراهيم الجعفري الذي اكتشف أن العراق في ظل معاليه كان يعيش أزهى عصور التقدم. ولهذا لا تستغربوا أيها السادة حين تريد السيدة عالية نصيف بعد 23 عاماً من الخراب كانت هي لاعباً رئيسياً في ساحته أن تقدم لنا نفسها فارسة وهوايتها ركوب الخيل، مثلما كانت تركب السياسة.

النائبة التي تقلبت من القائمة العراقية إلى القائمة البيضاء إلى قائمة دولة القانون كانت تعرف جيداً أن في هذه البلاد لا يوجد مواطن واحد يمكنه الاعتراض على مهرجان النهب الذي أقيم منذ ثلاثة وعشرين عاماً ولا يزال، والذين رفعوا راية الاحتجاج من شباب تشرين كانت السيدة عالية نصيف من أوائل النواب الذين هاجموا الاحتجاجات.

وأنا أقرأ خبر "مزاد خيول" السيدة عالية نصيف تذكرت مئات المليارات من الدولارات التي نُهبت من أموال العراق، التي لا يزال حيتان السياسة ونوابهم ووزراؤهم يتمتعون بها.

الذين أحكموا الخراب على العراق وأقاموا دولة الفساد وسدّوا كل الأبواب والنوافذ أمام المستقبل، والذين هرّبوا المليارات، تصدّروا المشهد السياسي بفضل معارك عالية نصيف ودفاعها عنهم.

قراءة شعرية

رؤية أدبية... جماليات الصورة: في قصيدة..
”من خيم الرعاة“ للشاعر الدكتور محمود فرحان

شاكر السلمان

مِنَ الصَّحراءِ من خيمِ الرُّعاةِ
مِنَ البؤسِ المُعطِّلِ للحياةِ
تَبلّجَ مِن ظلامِ الجَهلِ صُبحٌ
تَغلغلَ في النفوسِ الحائِراتِ
تَغشَّى أَوجهَ الفقراءِ غيثٌ
بِه خَفّوا جَميعًا للصَّلاةِ
يَؤمُّ صُفوفَهُم بلسانِ صدقٍ
نبيٌّ عاشَ مَحمودَ الصّفاتِ
أتى والناسُ بالأزلامِ تدعو
وللأوثانِ جادوا بالهباتِ
يَقودُ جُموعَهم بسياطِ ظُلمٍ
جَهولٌ عاثَ فتكًا بالبناتِ
إذا مَولودةٌ ضَحكت بليلٍ
تَعجّلها الصّباحُ إلى الفلاة
يُعربدُ كلُّ جبارٍ عنيدٍ
تُهرولُ حَولهُ زُمرُ الجُناةِ
وَدينُ الجاهليةِ لستَ تدري
على هُبلٍ تَربّع أم مَناةِ
فَخَصَّ اللهُ بالاسلامِ أرضًا
تَنوّرَ أهلُها بالمُعجزاتِ
وأرسلَ عبدَهُ المُختارَ نورًا
أضاءَ بهديهِ كلَّ الجهاتِ
نبيٌّ أورثَ الأيامَ مجدًا
بسُوراتٍ عِظامٍ خالداتِ
بقرآنٍ تَصاغَرَ كلُّ حرفٍ
بآياتٍ لديهِ مُقدّساتِ
وفاقَ بهديهِ الزاكي بيانًا
تألّقَ في العُصورِ السّالفاتِ
وَمزَّقَ كُلَّ موروثٍ قديمٍ
به امتازَ البنونَ عن البناتِ
وأوسعَ هذه الدنيا شموخًا
على ظهرِ الجيادِ الصّافناتِ
وَهدَّ قِلاعَ أهلِ الظُّلمِ حتى
أنارَ الحقُّ أروقةَ الطُّغاةِ
تَخذناهُ لنا سكنًا وأمنًا
فقُدنا الناسَ طُرًّا بالدّعاةِ
وأمست رايةُ التوحيدِ رمزًا
لكلِّ الحاضراتِ العامراتِ
فأينعَ في القلوبِ عظيمُ حبٍّ
من النيلِ الزكيِّ إلى الفُراتِ
ولكنّا وقد بخلت عُقولٌ
وغابت في المُتونِ الدامساتِ
وجانبت الصّوابَ لكي تُلبي
نداءً للعُروشِ الزائلاتِ
شَربنا سُمَّ ذلتنا زعافًا
ولم نَحفل بأفعالِ الأُباةِ
ومن يبغي من الأعداءِ نصرًا
يظلُّ حبيسَ أوهامِ العِداةِ

***

تنهض قصيدة «مِن خِيمِ الرُّعاةِ» للدكتور محمود فرحان على رؤية تاريخية ذات بُعدٍ ديني وحضاري، تتخذ من التحوّل من الجاهلية إلى الإسلام محورًا لبنائها، ثم لا تقف عند حدود استعادة الماضي، بل تستحضره لتقرأ به الحاضر، وتقيس المسافة بين لحظة النهوض الأولى وحالة التراجع التي أصابت الأمة حين ابتعدت عن أسباب عزتها .

ومن هنا تتشكل القصيدة في حركة زمنية متدرجة: جاهلية مظلمة، ثم فجر الرسالة، ثم امتداد حضاري، ثم انتكاسة معاصرة؛ وهي حركة تمنح النص تماسكه الدلالي، وتجعل التاريخ فيه أداةً للرؤية والنقد لا مجرد مادة للسرد.

يفتتح الشاعر قصيدته بقوله:

مِنَ الصَّحراءِ من خيمِ الرُّعاةِ
مِنَ البؤسِ المُعطِّلِ للحياةِ

فيضع المتلقي منذ البدء أمام فضاء شديد الخشونة: الصحراء، والخيام، والرعاة، والبؤس. وهذه المفردات لا تؤدي وظيفة مكانية فحسب، وإنما تؤسس للقطب الأول في الثنائية الكبرى التي تتحكم بالنص: الظلام/النور، الجهل/المعرفة، الموت/الحياة، الجاهلية/الإسلام. وليس المقصود بخيام الرعاة الانتقاص من بساطة الحياة العربية الأولى، بل إبراز المفارقة الحضارية بين بساطة المنطلق وضخامة الأثر الذي ستحدثه الرسالة.

ومن هذا القاع المكاني والاجتماعي يفجّر الشاعر صورته المركزية:

تَبلّجَ مِن ظلامِ الجَهلِ صُبحٌ
تَغلغلَ في النفوسِ الحائِراتِ

وهنا تتجاوز الصورة حدود الوصف التاريخي إلى التشكيل الرمزي؛ فالجهل «ظلام»، والإسلام «صبح»، والهداية نور يتغلغل في النفوس .

وفعل «تبلّج» ذو طاقة تصويرية واضحة؛ لأنه لا يقدم النور مكتملًا فجأة، وإنما يستحضر لحظة انشقاق الصبح عن الظلمة، وكأن الرسالة ميلاد كوني جديد. ثم يأتي الفعل «تغلغل» لينقل أثر النور من الخارج إلى الداخل؛ فالإسلام في رؤية الشاعر لم يغيّر المظاهر وحدها، وإنما دخل أعماق «النفوس الحائرات» وأعاد تشكيل وعيها.

وتتنامى الصورة حين يقول:

تَغشَّى أَوجهَ الفقراءِ غيثٌ
بِه خَفّوا جَميعًا للصَّلاةِ

ينتقل الرمز هنا من النور إلى الماء؛ فإذا كانت الرسالة في الصورة السابقة صبحًا يمزق الظلام، فهي هنا غيث يحيي الأرض الإنسانية المجدبة. والغيث من أكثر الرموز العربية اتصالًا بالحياة والخصب والرحمة، ولذلك فإن اقترانه بـ«أوجه الفقراء» يضفي على الرسالة بُعدًا اجتماعيًا، فلا تكون الهداية شأنًا روحيًا مجردًا، وإنما خلاصًا للإنسان المهمش واستردادًا لكرامته.

ويظهر النبي ﷺ في القصيدة بوصفه مركز التحول:

يَؤمُّ صُفوفَهُم بلسانِ صدقٍ
نبيٌّ عاشَ مَحمودَ الصّفاتِ

---

* عرض خاص

تتمة ص التالية

وقد أحسن الشاعر في أن يجعل أول ملامح الشخصية النبوية الصدق والصفة المحمودة، لأن البناء هنا يقوم على مقابلة أخلاقية بين نبي يقود الناس بالكلمة الصادقة، وجاهلية يقودها الطغيان والقوة العمياء. ولهذا يعقب الصورة النبوية مباشرة باستحضار عالم الأوثان:

أتى والناسُ بالأزلامِ تدعو
وللأوثانِ جادوا بالهباتِ

فتنشأ مقابلة واضحة بين التوحيد والوثنية، وبين العقل المستنير والخرافة، وبين التحرر من الوسائط الوثنية والخضوع لها.

وتبلغ صور الجاهلية ذروة قسوتها في مشهد وأد الأنثى:

إذا مَولودةٌ ضَحكت بليلٍ
تَعجّلها الصّباحُ إلى الفلاة

وهو من أكثر أبيات القصيدة تأثيرًا من الناحية التصويرية؛ لأن الشاعر لم يقل مباشرة إن المولودة كانت تُوأد، بل بنى مشهدًا إنسانيًا بالغ المفارقة: طفلة تضحك ليلًا، ثم يأخذها الصباح إلى الفلاة .

وهنا تتقابل براءة «الضحكة» مع وحشة «الفلاة»، كما تنقلب دلالة الصباح؛ فالصباح الذي يمثل عادةً الحياة والبداية يتحول إلى موعد للموت. وهذه المفارقة تضاعف الأثر المأساوي للصورة.

ثم يكثف الشاعر صورة المجتمع الجاهلي بقوله:

يُعربدُ كلُّ جبارٍ عنيدٍ
تُهرولُ حَولهُ زُمرُ الجُناةِ

فالفعلان «يعربد» و«تهرول» يمنحان المشهد حركةً درامية؛ الأول يصور طغيان المتسلط، والثاني يصور التابعين وهم يتسابقون حوله .

وهي صورة لا تنحصر دلالتها في الماضي؛ إذ يمكن أن يلتقط القارئ منذ هذه المرحلة بذرة الإسقاط السياسي الذي سيظهر صريحًا في خاتمة القصيدة.

وبعد استكمال لوحة الظلام يبدأ التحول الكبير:

فَخَصَّ اللهُ بالإسلامِ أرضًا
تَنوّرَ أهلُها بالمُعجزاتِ
وأرسلَ عبدَهُ المُختارَ نورًا
أضاءَ بهديهِ كلَّ الجهاتِ

تتكرر مفردات الضوء: تنوّر، نورًا، أضاء، فيتأكد أن «النور» هو الرمز المركزي في القسم الثاني من القصيدة .

ولم يعد النور هنا محدودًا بالصحراء التي انطلقت منها الرسالة، بل صار إشعاعًا يتسع حتى يشمل «كل الجهات»، وبذلك تتحول جغرافية الصحراء المحدودة إلى جغرافية إنسانية واسعة.

وتأتي صورة القرآن لتكمل عناصر هذا التحول:

نبيٌّ أورثَ الأيامَ مجدًا
بسُوراتٍ عِظامٍ خالداتِ

فالتعبير بـ«أورث الأيام مجدًا» يمنح الزمن نفسه هيئة الكائن الذي يتلقى الإرث ويحمله إلى الأجيال. والمجد هنا ليس حدثًا عابرًا مات بموت أصحابه، وإنما إرث تتناقله الأيام، وهو ما ينسجم مع وصف السور بأنها «خالدات.«

ويتابع الشاعر:

بقرآنٍ تَصاغَرَ كلُّ حرفٍ
بآياتٍ لديهِ مُقدّساتِ

فالغاية التعبيرية واضحة في تعظيم القرآن وبيان علو منزلته البيانية. وتتحول اللغة نفسها في المخيال الشعري إلى ميدان للمفاضلة، فيرى الشاعر أن البيان القرآني تجاوز ما سبقه من أنماط البيان، وهو ما يؤكده بقوله:

وفاقَ بهديهِ الزاكي بيانًا
تألقَ في العُصورِ السّالفاتِ

ثم تنتقل القصيدة من التحول العقدي إلى التحول الاجتماعي والقيمي، ولا سيما في قوله:

وَمزَّقَ كُلَّ موروثٍ قديمٍ
به امتازَ البنونَ عن البناتِ

والفعل «مزّق» شديد القوة، يرسم الموروث الظالم كما لو كان ستارًا كثيفًا مزقته الرسالة. والبيت يتصل دلاليًا بمشهد المولودة السابق؛ فالشاعر لا يورد وأد البنات بوصفه حادثة منفصلة، وإنما يعود إليه ليقيم قوسًا دلاليًا بين الظلم الجاهلي والتصحيح الإسلامي.

وتتحول الرسالة بعد ذلك من قوة روحية واجتماعية إلى قوة حضارية:

وأوسعَ هذه الدنيا شموخًا
على ظهرِ الجيادِ الصّافناتِ
وَهدَّ قِلاعَ أهلِ الظُّلمِ حتى
أنارَ الحقُ أروقةَ الطُّغاةِ

تتشكل هنا صورة حركية قوية تجمع الجياد والقلاع والهدم والنور .

غير أن أجمل ما فيها انتقال الشاعر من الصورة المادية «هدّ القلاع» إلى الصورة المعنوية «أنار الحق»؛ فالغاية في رؤيته ليست الهدم لذاته، وإنما إزالة بنية الظلم لإفساح المجال أمام الحق.

ويبلغ المد الحضاري اتساعه في قوله:

فأينعَ في القلوبِ عظيمُ حبٍّ
من النيلِ الزكيِّ إلى الفُراتِ

وفي فعل «أينع» تتحول القلوب إلى بساتين، والحب إلى ثمار ناضجة. وبعد صور الصحراء والجفاف والبؤس في المطلع، تصل القصيدة إلى الإيناع والخصب؛ وهذا تطور تصويري جميل: بدأت الأرض صحراء وانتهت القلوب مثمرة. كما أن الجمع بين النيل والفرات يرسم فضاءً حضاريًا واسعًا، ويجعل النهرين رمزين للامتداد والحياة والتواصل.

غير أن الشاعر لا يسمح للقصيدة أن تنتهي عند نشوة الماضي، بل يحدث انعطاف حاد مع قوله:

ولكنّا وقد بخلت عُقولٌ
وغابت في المُتونِ الدامساتِ

إن «لكنّا» هي نقطة الانكسار الكبرى في النص؛ فبعد «كانوا» التاريخية يأتي «نحن» الحاضرة. وهنا يتحول الخطاب من الاحتفاء إلى المساءلة.

والصورة في «بخلت عقول» تشخيصية؛ إذ يمنح العقل صفة الإنسان البخيل الذي يمتلك القدرة لكنه يمنع عطاءها، ثم يجعل هذه العقول غائبة في «المتون الدامسات»، في إشارة يمكن أن تُقرأ نقدًا للجمود والانغلاق حين يتحول التراث من قوة للفهم إلى حجاب عن حركة الحياة.

ويتضح البعد السياسي أكثر في قوله:

وجانبت الصّوابَ لكي تُلبي
نداءً للعُروشِ الزائلاتِ

فـ«العروش الزائلات» صورة تختصر فلسفة كاملة في السلطة؛ إذ تبدو العروش مهما علت محكومة بالزوال، بينما القيم التي جاءت بها الرسالة باقية.

وهنا يعيد الشاعر بصورة ضمنية إنتاج مشهد «الجبار العنيد» الوارد في أول القصيدة؛ فكأن الطغيان الذي حاربه الإسلام في الماضي يمكن أن يعود بأشكال جديدة حين تنفصل الأمة عن قيمها.

بقية ص التالية

وتبلغ مرارة الرؤية ذروتها في:
شَربنا سُمَّ ذلتنا زعافًا
ولم نَحفل بأفعالِ الأُباةِ

إنها صورة حسية شديدة المرارة؛ فالذلة تتحول إلى سمٍّ يُشرب، والأمة ليست مجرد متلقية لهذا السم، بل يظهر ضمير الجماعة في «شربنا»، بما يحمل من اعتراف ومسؤولية .

والشاعر هنا لا يلقي أسباب الانكسار كلها على الخارج، بل يحمّل الذات الجمعية جانبًا من المسؤولية، وهذه من أهم التحولات الفكرية في القصيدة.

ثم تأتي الحكمة الختامية:
ومن يبغي من الأعداءِ نصرًا
يظلُّ حبيسَ أوهامِ العِداةِ

فتغادر القصيدة جزئيًا لغة الصورة إلى لغة التقرير والحكمة، لتستخلص النتيجة الفكرية لمسارها كله: أن الأمة التي قامت أول مرة على استقلال العقيدة والإرادة لا يمكن أن تستعيد قوتها باستجداء القوة ممن يناصبونها العداء.

الرؤية الكلية

يمكن النظر إلى القصيدة بوصفها مبنية على ثلاث لوحات كبرى: لوحة الجاهلية بما فيها من ظلام ووثنية وقهر اجتماعي، ولوحة الرسالة بما تحمله من نور وعدل وتوحيد وامتداد حضاري، ولوحة الواقع الراهن بما يعتريه من جمود وتبعية وانكسار.

وهذه البنية الثلاثية هي التي تمنح النص معناه العميق؛ فالماضي لا يُستدعى للتمجيد وحده، وإنما يتحول إلى مرآة نقدية للحاضر.

أما الصورة الشعرية فتقوم في معظمها على شبكة من الثنائيات المتقابلة: الظلام والصبح، الصحراء والغيث، الوثن والتوحيد، وأد البنات وإنصافهن، قلاع الظلم ونور الحق، الشموخ والذلة، المجد والعروش الزائلة .

ومن خلال هذه المقابلات ينجح الشاعر في تحويل التاريخ إلى صراع بين منظومتين من القيم.

وتتميز القصيدة كذلك بكثرة الأفعال الحركية: «تبلج، تغلغل، تغشى، خفوا، يعربد، تهرول، تنور، أضاء، مزق، هد، أنار، أينع، غابت، شربنا»، وهي أفعال تمنع الموضوع التاريخي من التحول إلى سرد جامد، وتجعل المشاهد تتوالى أمام القارئ بحيوية واضحة.

ومن أجمل مساراتها التصويرية أن القصيدة تبدأ من «الصحراء» و«البؤس» و«ظلام الجهل»، ثم تعبر إلى «الصبح» و«الغيث» و«النور»، وتنتهي عند «سم الذلة» و«أوهام العداة»؛ فكأن حركتها ليست خطًا صاعدًا بسيطًا، بل قوس حضاري كامل: انحطاط، فنهوض، فمجد، ثم تراجع.

وبذلك يغدو السؤال المضمر الذي تتركه القصيدة في ذهن المتلقي: إذا استطاعت الرسالة أن تحول خيام الرعاة إلى منطلق لحضارة واسعة، فما الذي يمنع الأمة المعاصرة من استعادة شروط النهوض؟

إن قصيدة «مِن خِيمِ الرُّعاةِ» ليست مدحة نبوية خالصة، ولا قصيدة تاريخية خالصة، ولا خطابًا سياسيًا مباشرًا، وإنما تتداخل فيها هذه المستويات جميعًا ضمن رؤية إحيائية إصلاحية تستمد معيارها من لحظة الرسالة الأولى .

وأبرز مواطن قوتها أن عنوانها المتواضع مكانيًا، «مِن خِيمِ الرُّعاةِ»، ينفتح في داخل النص على مفارقة حضارية واسعة: من خيام بسيطة في صحراء قاسية خرج نور تجاوز المكان، وامتد أثره في الزمان. وهكذا تصبح «الخيمة» نقطة البدء، و«كل الجهات» أفق الوصول؛ وبينهما تتشكل رحلة الإنسان من الجهل إلى المعرفة، ومن الوثن إلى التوحيد، ومن الاستضعاف إلى صناعة الحضارة.

كلما ضاقت الرؤية اتسعت العبارة، أليس كذلك؟

حسن خضر*

تقول عبارة شائعة للنفري: "كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة"، ومن فضائلها تكريس أولوية ما ندعوه بلغة اليوم "الاقتصاد اللغوي"، والتحذير من شكلانية النثر المملوكي، وما يعتمل فيه من التورّم البلاغي، وتمويه خفة المعنى بمفردات ثقيلة وغليظة .

وقد نعثر، في حال قلبنا المعنى، على فضيلة جديدة: "كلما ضاقت الرؤية اتسعت العبارة". لن أتكلّم عن شواهد من الحقل الثقافي الضيق في بلادنا، وما يدوي في جنباته من ضجيج الشعبوية والمفردات الثقيلة والغليظة (والهبل، والحق يُقال). لذا، نكتفي بالكلام عمّا وقع، مؤخراً، في دمشق.
كانت سورية الأسد وسيلة إيضاح جيّدة لكيفية موت الثقافة في زمن الدكتاتورية. ولا يبدو، بعد سقوط النظام، أن دمشق في طريقها إلى التعافي. ولدينا، في هذا الصدد وسيلة إيضاح جديدة اسمها "جائزة السيف الدمشقي الدولية للشعر العربي."

وزارة الثقافة السورية أطلقت الجائزة، وقد وضعت شروطاً للقصائد نضعها، هنا، كما جاءت في البيان الرسمي: "أن تكون القصيدة باللغة العربية الفصحى، وفق أحد نمطي الشعر العمودي أو شعر التفعيلة، وأن تكون خالية من الأخطاء النحوية والعروضية.. يسمح لكل شاعر بالمشاركة بقصيدة واحدة، على أن يتراوح عدد أبيات القصيدة العمودية بين 20 و30 بيتاً، فيما تتراوح قصيدة التفعيلة بين 25 و30 سطراً". انتهى الاقتباس.

من الواضح أن فكرة صاحب الشروط عن الشعر رديئة تماماً. فعدم التزام قصيدة النثر، وهي تحتل مساحة واسعة في الشعر العربي الحديث، بالضوابط العروضية، لا يحكم عليها بالنفي خارج الشعر، ناهيك طبعاً عن تقييد القصائد بالأرقام. ولا يبدو من السابق لأوانه القول إن قصائد الجائزة (تتراوح ما بين 5-15 ألف دولار للفائزين الثلاثة الأوائل) وألف دولار لبقية المشاركين، لن تكيد عدواً، ولن تسر الصديق.

النظام الجديد مولع بدمشق، ومسكون بإيحاءات طائفية لا تُخفى على اللبيب: "فسجّل يا زمان النصر سجّل، دمشق لنا إلى يوم القيامة". والصحيح أن دمشق ليست لطائفة بعينها بل للسوريين كلهم، والأصح من الصحيح أن يوم القيامة بعيد جداً، وأن الرهان على وهم البقاء إلى الأبد شنيع. كلما ضاقت الرؤية، اتسعت العبارة، أليس كذلك؟

* كاتب ومفكر فلسطيني

عناقيد شعرية

ظلامُ الحياةِ... وأخريات
« قلوبٌ »

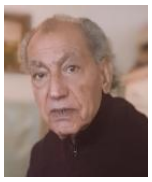

د.عدنان الظاهر

ظلامُ الحياةِ

كوّرتُ الأعباءَ مضيتُ أخبُّ ظلامَ حياتي
أسعى للمرمى تدفعني أثقالٌ شتّى
الحافي منها والساقطُ من رأسِ الناقوسِ
والجاثمُ يحشو في الطاسةِ رأسا
أملاً في أُلقيا أسيادِ قُضاةِ الحاجاتِ
في مندى أو في صالةِ حشدِ البوقاتِ
لا فرقَ .. الصمتُ الموتورُ غرورُ
وبقاءُ الشمعةِ في رأسِ الدمعةِ قرطاسُ خلاصِ
يأتيها الفوجُ الكاسحُ مرَّ الديجورِ
بمخمورِ الرأسِ المنخورِ
لا ييأسُ مَن عانى من ضربِ الرأسِ بفأسٍ مسحورِ
يمشي حتى لو أعيا عن حملِ التابوتِ وأحجارِ الرمسِ
هذا شأنُ الشاربِ من جمراتِ فضولِ الكأسِ
جمعٌ يتفرّطُ أكداسا
من ثُقبِ جبالِ النورِ الفاطسِ في طينِ التنورِ
لتُريكَ جروحَ الناي بقاعِ قرارةِ كأسِ السُمِّ
تكشفُ ما قالَ الطبُّ لعظمٍ في ريشِ هداهيدِ الرأسِ
لم أبرحْ دورةَ ميزانِ مكاني
أو أضربْ وتراً شذَّ وضاعفَ إيقاعَ السكرانِ
أسفٌ يعروني أني لا أحملُ كفّةَ ميزاني
فالسمُّ الأزرقُ أقوى والضربةُ أعتى
في جسدي سمٌّ أعلى رقما
يتسربُ في التُربةِ بينَ الذرِ وذرّاتِ الفقدانِ
هل تدري ما الذروةُ إنْ حاقَ الحقُّ وغالى تصعيدا
أنَّ الطارقَ لا يأتي
لا بأسَ ففي الأورامِ جنينُ
يا خازنَ صوتِ البوقِ المكسورِ رويداً
أهدافٌ تنأى وطبولٌ جفّت جِلْدا.

قلوبٌ

أولاً :

غامتْ أو صَحّتْ
لا يهفو لنشيدٍ صوتٌ في القلبِ
القلبُ طريقُ
طُرُقٌ شتّى
بعضٌ يتخثّرُ بالذكرى مجروحا
يشفى والكونُ وريدُ
قلبٌ قَدَمٌ يسعى لمصيرٍ مجهولِ
قلبٌ في يَمِّ الحُبِ غريقُ
يضربُ للنجوى كي ينجوَ مِجدافا
لكنْ هيهاتا
البحرُ حريقُ
يتساقطُ أقماراً قنديلاً قنديلا
والماءُ عُبابُ
مَهلاً مهلا
حَمَلتني أُمّي نعشاً معطوباً قلبا
عانى من ضعفِ النبرةِ في النبضةِ والمجرى
قالَ وداعا
قلبٌ دقَّ وصفّقَ تعليلاً مُحتجّا
أنَّ الصدرَ المُعتلَّ دليلُ
في الأزمةِ ينهارُ
والكونَ الدائرَ مقلوبٌ إنسانا
(ناقوسُ القلبِ يدقُّ له / وحنايا الأضلعِ معبَدُهُ)
"1"
لا يا شوقي !
لا ناقوسٌ في قلبٍ دقَّ ولا أجراسُ
قلبٌ معدنهُ مِرجانُ اللؤلؤِ في فنجانِ البحر
ينضو أصدافَ الأشواقِ شِراعا
ويُحكِّمُ دقّاتِ الناقوسِ
(كفانيَ يا قلبُ ما أحملُ / أفي كل يومٍ هوىً أولُ) "2"
قلبٌ من جمرٍ مُلتاعاً يسعى
ويُناجي نجمَ الحانةِ خَمرا
الحبُّ شرابُ
غِربالُ سرابِ الكاساتِ الحُمْرِ
خشخاشُ نواقيسِ التصخابِ
(حَرامٌ على قلبي السرورُ وإنّني / أُعدُّ الذي ماتت بهِ بعدَها سُمّا) "3"
قلبٌ يَضوّعُ جَمرا
قالَ الآهُ حرامُ
رُمحٌ مكسورٌ فيها
وشِجارٌ يعلو صوتا.

***

"1" بيت الشعر هذا لأحمد شوقي
"2" بيت الشعر للإخطل الصغير بشارة الخوري
"3" بيت الشعر للمتنبي يُرثي جدّته.

قلوبٌ

ثانياً :

قلبٌ يتقلّبُ في الحَمأِ الذائبِ طينا
يرفعُ آذانَ البشرى أنْ يسمعَ شيئا
ويلكَ إنْ لم تُنجزْ وعدا
فالقلبُ قلوبُ
وسماءٌ تصحو لو حقَّ الحقُّ وطالَ البرْقا
يتحرّكُ أعمى غَصْبا
خطّاً محتوماً رَسْما
يتذبذبُ كالزئبقِ في صحنِ الماءِ الرقراقِ
القلبُ خرابُ
كأسٌ يتهادى تقليبا
وجسورٌ تتهاوى أعقابا
قلبٌ في الصخرةِ محفورُ
شَبحاً تمثالاً معبودا
ما دامَ العيدُ بعيدُ
دقَّ الحارسُ أجراسَ القلبِ الظمآنِ
حضرَ القاصي والداني والشمعُ المختومُ جُرُوحا
نادى سيفُ الجنِّ وأخفى من خوفٍ صوتا
الشؤمُ يُحرّكُ أجفانَ الحُزنِ دموعا
شأنَ السُلّمِ فارقَ أهلا
آنَ أوانُ طلوعِ الفجرِ الناري
العينُ مجامرُ رأسِ الرؤيا دَفنتْ سِرّا
القلبُ الجُبُّ تقلّبَ رُعْبا
لا يُخفي ما أخفى فرطَ الظُلمةِ في عينِ الذئبِ
ناقوسُ الإذعانِ مساميرٌ في ثوبِ الطُهرِ
يصدحُ بالزمنِ الحاملِ آهاتِ الفجرِ
ديكاً يُذبَحُ غدرا.

قراءة سينمائية

من تفكيك سينما"موبيوس" إلى تشريح أزمة الوعي الشرقي

كفاح الزهاوي

"صمت السينما وصراخ المأساة": في صمت السينما يصرخ الجسد، وفي غياب الحوار يتعرى الوعي الشرقي من أقنعته.

شاهدتُ فيلماً كورياً دراماتيكياً يجسد عبقرية المخرج "كيم كي-دوك" في أبهى صورها؛ وهو فيلم "موبيوس" (Moebius). إنه عمل سريالي صادم، يتخلى فيه المخرج عن الحوار تماماً ليجعل من لغة الجسد والعنف الصامت أداة لتفكيك العقد النفسية والأسريّة. تدور أحداث الفيلم في حلقة مفرغة (تجسيداً لشريط موبيوس الرياضي) تنتهي بفناء العائلة انتحاراً، لكن لفهم هذه المأساة، يجب العودة إلى الخطيئة الأولى واللحظة الصادمة التي أسست للذنب المشترك ودمرت هذا الكيان بالكامل.

تبدأ المشكلة الأساسية من خيانة الأب لزوجته مع عشيقة، لكن الحبكة النفسية الأعمق تتجلى في حضور الأم والإبن معاً في مسرح هذه الجريمة الأخلاقية. فالأم لم تكتشف الخيانة مصادفة، بل كانت حاضرة في الطرف الآخر تشاهد الحادثة بعينها ومن مسافة صفر. وتتخذ المأساة بعداً نفسياً شديد التعقيد عقب انتهاء العملية الجنسية بينهما؛ حيث تقرر الأم الانتقام. لكن قبل أن تهاجم زوجها الخائن، تنظر وعيناها مملوءتان بالدموع وخيبة الأمل من شق الباب لتجد ابنها المراهق متأثراً بالمشهد ويمارس العادة السرية. تلك الحركة أورثت الأم يأساً قاتلاً وصدمة في امتدادها ونسلها؛ إذ أوعزت إليها أن ابنها يشبه والده تماماً، وأنه ورث ذات الشهوة وبدأ يشرعن الخيانة ويتلذذ بها بدلاً من الانتصار لمظلومية والدته.

هذا التداخل المرضي فجّر غضباً سادياً لا يمكن كبحه؛ وحين توجهت لزوجها وفشلت في النيل منه بسبب مقاومته العنيفة لها، نقلت جام غضبها فوراً إلى الابن؛ إذ رأت فيه "النسخة البديلة" المتاحة لرجولة الأب الخائن، فقامت بقطع عضوه التناسلي فيما كان يغطّ في نومٍ عميق كعقاب بيولوجي ونفسي يبتر سلالة الأب وغريزة الابن التي ولدت مشوهة خلف الباب. هذا يوضح كيف يتحول عجز الكبار عن مواجهة خطاياهم إلى رغبة عمياء في تدمير أقرب الناس وهم في حالة استسلام تام.

يتصاعد التوتر الدرامي من خلال تتابع متقن للمشاهد يكشف حجم المعاناة الجسدية والنفسية للشاب؛ حيث يظهر لأول مرة بالسيارة برفقة والده، ويطلب منه الذهاب إلى مرحاض عام. بينما ينتظر والده في السيارة. هناك، وأثناء محاولته التبول، يصاب شخص آخر بالدهشة والذهول حين يرى الشاب المخصي يتبول على بنطاله عاجزاً عن التحكم بجسده المبتور. يخرج الابن إلى الشارع مذعورًا، ليتفاجأ بزملائه في المدرسة وهم يحاولون نزع بنطاله قسرًا لتوثيق عاهته والشهادة على أنه خصي. وهنا يتدخل والده لينتزعه ويحميه من تنمّرهم، فيضربهم أول الأمر فيهربون من قبضته. وبينما كان الأب يحاول تهدئة ابنه المصدوم من قسوة الأولاد، إذا بالمجموعة تعود مجددًا لتركل الأب وتنهال عليه بالضرب، لتكسر صورته أمام عيني ابنه، وتُسقط هيبته تحت أقدام الصغار، في سحقٍ تام "لرمزية الأب الحامي."

يأتي بعد ذلك مشهد الإغواء المحوري؛ حيث يلتقي الابن بالعشيقة في متجرها، فتسعى إلى استمالته بفتح أزرار فستانها كاشفة عن صدرها، فيقترب منها مدفوعًا بغريزته المراهقة. غير أن الحبكة تتعقد في المشهد التالي؛ إذ يعود الابن إلى المتجر مترددًا، ليطلّ التلاميذ من جديد ويطرق أحدهم زجاج الباب. يخرج الابن مسرعًا خشية أن ينكشف سره أمام العشيقة التي بدأت تتودد إليه. وفي الشارع، يطارده زملاؤه محاولين إذلاله بانتزاع بنطاله عنوةً لإثبات عجزه والتشهير به، لكن عصابة من المجرمين تتدخل لإنقاذه من قبضتهم؛ وهي لفتة سيكولوجية بارعة من المخرج، إذ أن العصابة لا تتحرك بدافع الشهامة، بل لتأكيد نفوذها واستقطاب الضحية الأضعف.

هذا الموقف جعل الابن سيكولوجياً أقرب إلى العصابة وأبعد عن الأب؛ فالعصابة مكنته من الحماية التي عجز عنها والده والمجتمع. وهنا يطرح المخرج قانوناً اجتماعياً خطيراً: حين يفتقر المجتمع إلى الأدوات المتاحة لحماية الأفراد، يُدفع هؤلاء قسراً إلى اللجوء لأشخاص خارج إطار القانون بحثاً عن الأمان. هذا الإنقاذ البديل كان فخاً وتمهيداً درامياً غرضه دمج الابن في وكرهم، ليتحول "المنقذ" لاحقاً إلى "جلاد" يجر الشاب إلى مستنقع الجريمة (الاغتصاب).

المحطة التالية التي عمّقت الكارثة هي لحظة الاعتداء الوحشي الأصلي على عشيقة الأب. فبينما كان الشاب المراهق يتواجد في مسرح الجريمة مع تلك العصابة التي أنقذته سابقاً، أُجبر على المشاركة في الاعتداء الجماعي على العشيقة. لم يكن دافع الشاب هنا هو "الشهوة"، بل كانت محاولة بائسة ومذعورة منه لإخفاء عاهته (أنه خصي) والمحاكاة الجسدية أمام الآخرين الذين حموّه بالأمس، خشية أن ينفضح أمره أمامهم.

لكن العشيقة ـ بسبب صدمة الاعتداء والذعر الأعمى ـ لم تدرك هذا النقص، بل اعتبرته شريكاً كاملاً في الجريمة وبلغت عنه الشرطة. هنا يتدخل الأب مجدداً لإنقاذ ابنه من السجن، لكنه "يجعل الطين بلة" حين يؤكد للشرطة علناً أن ابنه خصي ولا يمكنه القيام بذلك، ليتسبب في فضح سر ابنه الطبي والنفسي ويسحق كبريائه تماماً أمام المجتمع.

إن الضحية الحقيقية في الفيلم هو الابن؛ مراهق بسيط وهادئ بالفطرة، يكتشف غريزته الطبيعية تجاه الجنس الآخر، لكنه يقع ضحية لـ "شيطنة" الكبار وتصفية حساباتهم المريضة.

وتتجلى قسوة المجتمع في مشهدين جوهريين:

تتمة ص التالية

1 ـ تفرج السلطة: عندما يحاول الأب تبرئة ابنه بكشف عورته ونقصه أمام رجال الشرطة، تثور أعماق الابن دفاعاً عن كرامته المهدورة عبر ركلات يائسة لوالده، بينما يقف رجال الأمن متفرجين، في إشارة لإدانة بلادة المجتمع واستعراضه للفضائح.

2 ـ عجز المنظومة الإصلاحية: يظهر ذلك في مشهد إطلاق سراح المغتصب الحقيقي (فرد العصابة) وعودته لمزاولة جرائمه، وهو نقد لاذع للقوانين التي تفشل في إعادة تأهيل الجناة، بل تعيد تصديرهم ليفترسوا ضحايا جُدد

المحطة التالية في كسر القوى تظهر عقب خروج رئيس العصابة من السجن وازدرائه السابق للابن. هنا يبرز تحول درامي عميق، حين تستدرج العشيقة رئيس العصابة إلى مهجعها، لا استسلامًا بل انتقامًا لنفسها وللابن معًا. يستلقي الشاب على الأرض، ورأسه تحت المنضدة المنخفضة، فيما تجلس هي على ساقيه وتنزع بنطاله وهو غارق في وهم المتعة الجنسية. وفي تلك اللحظة، تسحب السكين لتقطع جهازه التناسلي بينما يضغط المراهق على يديه مثبتًا إياهما إلى الأرض، ليُفتح المجال أمام فعلٍ صادم يبدّد أي وهم باللذة. وفي خطوة تماثل صدمة البداية، تقوم بقطع عضوه التناسلي لتجريده من غطرسته وقوته الذكورية السامة، وتشرع في السيطرة عليه بالكامل وتحديد الطريقة التي ينال بها شهوته تحت شروطها. بالأمس كانت ضحية مستسلمة، واليوم يدفع الجلاد المتغطرس ثمن تصرفه اللاأخلاقي، وتتحول هي إلى متحكم بمسار الألم واللذة. عقب هذا القطع، يتدخل الابن المراهق في مشهد بالغ الرمزية؛ حيث يخطف العضو المقطوع ويفر به مسرعًا في محاولة يائسة لاستعادة رجولته ونقصه الجسدي. يلاحقه رئيس العصابة دون جدوى، لتكون الكلمة الأخيرة لـ عجلات السيارات المادية في الشارع، وهي تسحق تلك القطعة تحتها مبددة أحلام الشفاء، ومؤكدة أن العنف لا يولد إلا عدماً وفناءً كاملاً.

يتردد رئيس العصابة على متجرها خاضعًا ذليلًا، راغبًا في الحصول على اللذة الجنسية. حال دخوله، تغرس السكين في كتفه اليسرى، وتهزها من قبضته بينما يقف المراهق خلفه ممسكًا به لتثبيته، فيما تتصاعد نشوته الوهمية بتنهدات ممزوجة بالألم. أثناء هذا الطعن، يقوم المخرج بتركيب مشهد غاية في الرمزية السيكولوجية؛ إذ تحضن العشيقة رئيس العصابة المخصي، وتضاعف الألم بتحريك السكين في كتفه، ثم تضع حنكها على كتفه ليصبح وجهها مقابل وجه الابن الذي يقف خلفه. هنا تلتقي عيون الابن والعشيقة، وتتلامس أنوفهم وشفاههم بلمسة خفيفة، في لقطة تعلن بوضوح أن معاناتهم باتت متداخلة ومتلاحمة، وأنهم حققوا انتصارًا مشتركًا وسحقوا الطاغية الذي انتهك كرامتهم بالأمس، ليدفع المتغطرس ثمن تصرفه اللاأخلاقي ويتحول من جلاد إلى ضحية خاضعة لشروطها السادية."

استخدم المخرج بذكاء شديد نفس الممثلة لتقوم بدوري "الأم" و"العشيقة" في آن واحد، وهي لفتة سيكولوجية عميقة ترمز لتداخل أدوار الرغبة والعقاب. فمن ناحية، يبرز مظهر الانتقام والمحاكاة عندما تقوم الأم بممارسة الخيانة كنوع من الرد بالمثل على زوجها، حيث عرضت نفسها على ابنها تحت الغطاء ممرغة كبرياء الأب في التراب. هذا التشابه الجسدي جعل الابن يعيش في حالة تشتت وضياع كامل بين الأم التي عاقبته بقطع رجولته، وبين العشيقة التي ينجذب إليها.

وهنا تبرز الفكرة الأكثر عمقاً في الفيلم؛ حيث يتجلى الابن كضحية مطلقة لصراع مرير بين والدين عاجزين تماماً عن مواجهة أخطائهما الشخصية والاعتراف بفشلهما، وبدلاً من مواجهة الذات، يصبان جام غضبهما وساديتهما على ابنهما الأعزل. هجوم الأب الهستيري بالسكين في النهاية لم يكن سوى محاولة لـ "إبادة" هذا الشاهد البريء الذي تجسدت فيه كل خطايا الكبار.

يطرح الفيلم سؤالاً فلسفياً: هل قطع الأعضاء أو ممارسات التشويه والتعذيب الجسدية تحرر الإنسان من خطيئته؟ الإجابة هي (لا) قاطعة، فالخطيئة تكمن في الوعي لا في الجسد. وفي المشهد الأخير، يحمل الابن السكين ويتوجه نحو تمثال بوذا، ليرمي السكين في النهاية معلناً نبذ العنف الذي لا يجر إلا الدمار النفسي والجسدي. وهنا تبرز رمزية مادية عميقة؛ فالشاب يبحث عن التمثال في الظلام ولا يجده إلا بعد إسقاط ضوء المصباح المادي. هذا يثبت أن الأفراد عندما يعجزون عن حل معضلاتهم الواقعية يهربون نحو الروحانيات الغيبية التي لا تملك حلولاً ملموسة، فالنور الحقيقي الذي يكشف الحقائق ويقشع الظلام هو نور العلم والمعرفة المادية، الذي اخترعه عالم مادي وليس فكراً صوفياً.

ينعكس هذا التحليل السينمائي بشكل مباشر على واقعنا الشرقي والعربي؛ حيث يعاني المجتمع من غياب التفكير النقدي وسيطرة "الوعي العاطفي والروحاني الجاهز". يتجلى هذا التسطيح في الاستهانة بالبحث والتمحيص، حيث ينساق العقل الجمعي فوراً خلف الأخبار الزائفة والصور المفبركة لمجرد أنها تثير مشاعره، لتتحول منصات التواصل إلى ساحات لتفريغ الإحباطات عبر سيل من الانتقادات اللاذعة دون التثبت من الحقيقة. ويتقاطع هذا تماماً مع مأساة الفيلم؛ فعندما تتقاعس مؤسسات الوعي والدعم عن حماية "البسطاء"، يقع المجتمع في شباك سلطات الجهل والجريمة البديلة.

إن النجاة من هذه الدوائر المفرغة من الجهل والعنف والتبعية تكمن في إعادة بناء الإنسان من الجذور. يبدأ الإصلاح الحقيقي بتأهيل المجتمع بدءاً من الروضة والمدرسة، وتغيير المناهج التعليمية لترسيخ الفكر النقدي والمنهج العلمي التجريبي. يترافق ذلك مع إلغاء كافة أشكال الضغط والترهيب النفسي في المدرسة والبيت؛ فالعائلة السليمة والصالحة المبنية على الحوار والأمان هي النواة الوحيدة القادرة على إنتاج مجتمع صالح، نقي، ومستنير بنور الوعي الحقيقي.

"ما لم نكسر حلقة العنف والجهل، سنظل ندور في دائرة موبيوس بلا نهاية"

* فيلم "موبيوس" (Moebius) الصادر عام 2013، والمعروف في بعض الدول الأوروبية باسم "موبيوس: الشهوة، هو أحد أكثر الأفلام الإثارة للجدل للمخرج الكوري الجنوبي الشهير كيم كي دوك. يتميز بأنه خالٍ تماماً من الحوارات .

تقاسيم شعرية

» قَصَائِدُ... مِنْ ذَاكَ اَلْمَكَانِ اَلْبَعِيدِ «

ايفان علي عثمان

شجرة الجميز العجوز...

1
في عدم ضاق
انفتح شق
يطل على
عمق كاو
2
شباكي
تحصي
ظلالا ضالة
أغادر نحو قفصي
3
يفصلني
جناحا الصقر
عن
صوت الغرفة
صد صفيرها
وحلق
4
خاط
ما يشع
غاطسا
بحبائل الصيد
5
أحصيت
اشتعالاته
تحت شجرة الجميز العجوز
هذا الحلم
ينحتني
6
تهزني
كاساتي
الصور
متى يمتصني الزجاج

في ظل الجميز ...

1
سأتبع الشقوق
ربما يتحرك شرخ من مكانه
ويتوه
2
سأجد الذي ينتهي فيه
بتحويمات صقره
3
الغرفة تغرق
مع الجوف
أنهكها
ما نسخه
4
وراء الصدع
للصور
وشرره
5
تحيطه
الأصوات
تحول الى
هوة تتقن لغة أشراكه
6
الثقب الجميزي
شفير مواز
تناول مصل الجدار
7
ينخر اللغم
ما نما
سأقيد الحوائط

متعدد الأسطح إكليليا ...

1
ماذا
ينهيه
جدران غرفة
تنتظر
صوت الهتاف
ظل يبرز
من العقد
فراغ
صداها
ساعدي
كتفي
2
باق
يسطع
في زبد العين
ايها الوراء العميق
3
خطا

في
رشة حبر
سر
ناثرا
أيامي

4
المطوية
بملح البعدين
منذ الرحيلين
أطويني
للغدين
5
جوعي
يورق
ليسكر
زينته
بعرق الجبينين
6
وجه ما تملكه
نحو المحو
وحول
الصورة
لخطى

7
طويلا
سأعيش
دمائي أعمق من طيف ما يرصهم
8
عند الكثيبين
بين ماستين
ينصت للقهقهتين
على سن القلم
9
المشي
على ما ينحتنا
يتقلب ما طار
ويفصلنا
عن مواعيد العقدة

---

* شاعر وكاتب

إضاءات

عبقرية هاينريش هاينه وعذوبة علاقته بالموسيقى

د. إشبيليا الجبوري

ت: من اليابانية أكد الجبوري

كان هاينريش هاينه (1797-1856)() شاعرًا وكاتبًا وناقدًا أدبيًا ألمانيًا، يُعدّ من أكثر شعراء اللغة الألمانية حسًا موسيقيًا، وأحد أهم المصادر الأدبية للأدب الألماني. دخلت أشعاره الموسيقى الكلاسيكية بقوة استثنائية، إذ قدمت للملحنين مزيجًا نادرًا من الجمال الغنائي، والغموض العاطفي، والسخرية، والمرارة، والشوق العاطفي، وخيبة الأمل، والكآبة الحالمة. لم يكن هاينه مجرد شاعرٍ لحّنه الملحنون، بل كان شاعرًا بدت لغته وكأنها تحمل الموسيقى في طياتها. إن شئتم.

من بين الشعراء الألمان، منح العالم الألماني الموسوعي يوهان فولفغانغ فون غوته (1749-1832)() الملحنين عظمةً وطبيعةً وأسطورةً وعمقًا روحيًا؛ ومنحهم الشاعر الألماني جوزيف فون إيشندورف (1788-1857) غموضًا () رومانسيًا تحت ضوء القمر؛ ومنحهم الكاتب المسرحي والشاعر الألماني

منحهم فريدريش شيلر (1759-1805)() مثاليةً بطوليةً وسموًا أخلاقيًا. أما هاينريش هاينه فقد منحهم شيئًا أكثر عمقًا، وأكثر حداثةً، وغالبًا ما يكون أكثر خطورةً من الناحية النفسية: حبٌّ يجرح نفسه بالسخرية، وجمالٌ يتحول فجأةً إلى مرارة، وشاعريةٌ لا تخلو من البراءة.

لحّن قصائده كلٌّ من الملحن النمساوي فرانز شوبرت (1797-1828)()، والملحن وعازف البيانو الألماني روبرت شومان (1810-1856)()، والملحن وعازف البيانو الألماني فيليكس مندلسون (1809-1847)()، والملحن وعازف البيانو الألماني يوهانس برامز (1833-1897)()، والملحن المجري فرانز ليست (1811-1886)()، والملحن النمساوي هوغو وولف (1860-1903)()، والملحن وقائد الأوركسترا الألماني ريتشارد شتراوس (1864-1949)، وغيرهم الكثير. لكن يبقى عمله الموسيقي الأبرز هو "حب الشاعر"(1840)() لروبرت شومان، أحد أعظم دورات الأغاني التي أُلفت على الإطلاق.

ـ هاينه وغناؤه الرومانسي؛

أصبح شعر هاينه عنصرًا أساسيًا في الغنائيات الرومانسية، إذ قدّم للملحنين قصائد قصيرة مكثفة ذات شحنة عاطفية هائلة. كثير من قصائده الغنائية موجزة، بسيطة ظاهريًا، وشبيهة بالأغاني. لكن وراء هذه البساطة يكمن عالم داخلي مضطرب. قد تبدأ قصيدة هاينه كقصيدة حب رقيقة، وتنتهي بالسخرية، أو اليأس، أو الذكريات، أو إيذاء الذات، أو خيبة الأمل الباردة.

هذا ما جعله جذابًا بشكل خاص للملحنين الرومانسيين. لم تكن الأغنية مجرد لحن جميل مصحوب بعزف البيانو؛ بل تحولت، على يد شوبرت وشومان وبرامز وولف وغيرهم، إلى لوحة نفسية مصغرة. كانت قصائد هاينه مثالية لهذا العالم لأنها غالبًا ما تتضمن "ألمًا عميقًا في كلمات"().

كان بإمكان الملحن استخدام البيانو للكشف عما لا تقوله القصيدة صراحةً. قد يخفي لحن صوتي جميل ألمًا؛ وقد يُضفي لحن رقيق لمسة من السخرية؛ وقد يُناقض وتر ختامي المعنى الظاهر للنص(). بهذا المعنى، لم يمنح هاين الملحنين مجرد كلمات، بل منحهم دوافع موسيقية عميقة.

غالباً ما تتأرجح لغته بين الاعتراف والقناع. ولذلك، فإن قصائده مؤثرة للغاية في الموسيقى: يبدو المغني وكأنه يتحدث بصدق، بينما قد يوحي البيانو بأن هذا الصدق مجروح، أو غير مستقر، أو حتى مفقود.

ـ شومان وحب الشاعر؛

أعظم لقاء موسيقي مع هاينه هو مقطوعة "حب الشاعر" لشومان، التي أُلفت عام 1840()، وهو "عام الأغنية" العظيم لشومان. تضم هذه المجموعة قصائد من ديوان هاينه "حب الشاعر"()، وهو جزء من "حب الشاعر". إنها دورة حب، لكنها ليست مجرد قصة حب عادية. إنها ترصد الرحلة العاطفية لشاعر ينتقل من رقة الربيع وشوقه إلى خيبة الأمل والمرارة والهلوسة والذكريات ومحاولة التخلي.

ما يجعل "حب الشاعر" مميزًا للغاية هو فهم شومان لسخرية هاينه. فهو لا يتعامل مع القصائد على أنها مجرد عواطف جياشة. يُتيح للموسيقى أن تكشف الفجوة بين ما يقوله الشاعر وما يُعانيه. البيانو ليس مجرد مصاحبة موسيقية، بل هو صوت داخلي. يتذكر، يُناقض، يُعزي، ويجرح.

تبدأ الأغنية الافتتاحية، "في شهر مايو الجميل عام 1840"()، بتناغم غير مكتمل. وهذا أمر بالغ الأهمية. يولد الحب، لكن الموسيقى ترفض الوصول إلى حل نهائي. منذ اللحظات الأولى، يُخبرنا شومان أن الرغبة مُعلقة، هشة، وغير مؤكدة. لا تُقدم لنا هذه السلسلة خاتمة عاطفية بسيطة.

تنتقل الأغاني اللاحقة بين النشوة، والحزن، والخيال الغريب، والفكاهة اللاذعة. تبدو أغنية "لا للضغينة"() وكأنها تُعلن عن ضبط النفس بفخر -"لا للضغينة"() - لكن الموسيقى تكشف عكس ذلك:المغني يحترق بالاستياء. هذا هو هاينه الخالص، وشومان يفهمه تمامًا.

تتخيل الأغنية الأخيرة، "الأغاني القديمة الشريرة"()، دفن الأغاني القديمة والآلام القديمة في

نعش ضخم. ومع ذلك، بعد انتهاء الصوت، يستمر البيانو بواحدة من أعمق الخواتيم في تاريخ الموسيقى الغنائية. الكلمات تدعو إلى الدفن، والموسيقى توحي بأن الذاكرة تبقى حية. هذه هي عبقرية هاينه في أعمال شومان: القصيدة تتحدث، لكن الموسيقى تكشف ما لا تستطيع القصيدة الاعتراف به.

ـ شوبيرت وهاينه: الأغاني المتأخرة؛

لحّن فرانز شوبيرت (1797-1828)() أيضًا أغاني هاينه، وأشهرها تلك المجموعة من الأغاني التي نُشرت لاحقًا ضمن مجموعة "شوبيرت وهاينه". تنتمي هذه الألحان إلى الفترة الأخيرة من حياة شوبيرت، وتُعدّ من بين أكثر أغانيه إلهامًا ورؤيةً.

تُظهر أغانٍ مثل "الأطلس"()، و"صورتك"()، و"فتاة السمك"()، و"المدينة"()، و"على البحر"()، و"الشبيه"() جانبًا أكثر قتامةً ورعبًا لهاينه من ذلك الجانب الذي غالبًا ما يُرتبط بالسخرية الغنائية. ففي يد شوبيرت، يتحوّل هاينه إلى شبحٍ مهيبٍ ومرعب.

تُعدّ أغنية "الشبيه" من أروع أغاني القرن التاسع عشر.() يرى الشاعر شبيهه واقفًا أمام المنزل الذي عانى فيه يومًا من الحب.

موسيقى شوبرت تكاد تكون ساكنة، مبنية على تكرار هارموني مرعب. إنها ليست مجرد أغنية عن الذاكرة، بل أغنية عن الوقوع في فخ الماضي. صورة هاينه للشبيه تتحول، في موسيقى شوبرت، إلى رؤية للشلل النفسي.

تخلق المدينة مشهدًا غريبًا من الضباب والماء والذكريات. يستحضر البيانو صورة القارب والضباب والمدينة البعيدة وعودة الألم. أغنية "على البحر"() تحوّل البحر إلى مكان يجمع بين الجمال والسم العاطفي. في هذه الأغاني، يجد شوبرت البُعد الطيفي لهاينه:

فالحب كشبح لا يختفي.

ألحان شوبرت المستوحاة من هاينه أقل عددًا من ألحان شومان، لكنها من بين أكثر الألحان تأثيرًا في مجمل الأغاني.()

ـ هاينه، السخرية، وخيبة الأمل الرومانسية؛

يكمن السبب الرئيسي لأهمية هاينه في عالم الموسيقى في أسلوبه الساخر المميز(). ففي الشعر الرومانسي المبكر، كان يُضفي طابعًا مثاليًا على

تتمة ص التالية

الحب والطبيعة والشوق والليل والموت. ورث هاينه هذه اللغة، لكنه كشف أيضًا عن جراحها. كان بإمكانه أن يكتب برقة آسرة، ثم يُقوّض هذه الرقة فجأةً بالسخرية أو المرارة.

ليست هذه مجرد دعابة سطحية، بل هي حالة معاصرة عميقة. غالبًا ما يرغب المتحدث في شعر هاينه في الإيمان بالحب والجمال والسمو الرومانسي، لكنه لا يستطيع الإيمان به تمامًا. فهو يعرف الكثير، وقد جُرح بشدة، ويسمع الزيف الكامن في كلماته الغنائية.()

بالنسبة للملحنين، كانت هذه موهبة. فالموسيقى قادرة على إبراز التناقض. قد يكون اللحن جميلًا بينما يتحول التناغم إلى قاتم. وقد يكشف البيانو عن السخرية الكامنة وراء الصوت. وقد تبدأ الأغنية كحلم وتنتهي كجرح.

لهذا السبب يعتبر هاينه محورياً في الأغنية الرومانسية: فقد منح الموسيقى ليس فقط الشوق الواعي بوهمه الخاص.()

- مندلسون، برامز، ليست، وغيرهم من الملحنين؛

انتشرت أشعار هاينه على نطاق واسع في موسيقى القرن التاسع عشر. قام فيليكس مندلسون (1809-1847)() بتلحين العديد من قصائد هاينه، مُضفيًا عليها وضوحه وأناقته ورقيّه الغنائي. غالبًا ما تُبرز ألحانه لشعر هاينه الرقة والجمال اللحني، دون إغفال الكآبة الكامنة وراءها.

كما استلهم يوهانس برامز (1833-1897)() من هاينه، مع أن علاقته بالشعر كانت عمومًا أكثر تحفظًا وانضباطًا في البنية من علاقة شومان. وجد برامز في هاينه مزيجًا من الإحساس الغنائي والبعد العاطفي الذي ناسب ميله إلى التأمل والضبط.

أما فرانز ليست (1811-1886)() فقد لحّن هاينه بأسلوبه الدرامي والهارموني المميز. انجذب ليست إلى الشعر الذي يحمل في طياته أجواءً عاطفيةً جياشة، وقد منحه مزيج هاينه من الحلم والألم والسخرية مادةً ثريةً.

أصبح الملحن الألماني روبرت فرانز (1815-1892)() أحد أهم ملحني الأغاني المرتبطين بنصوص هاينه، إذ فضّل التعبير الغنائي الحميم والاهتمام الدقيق بالتفاصيل الشعرية. وفي وقت لاحق، تناول الملحن النمساوي هوغو وولف (1860-1903)() هاينه من منظور ما بعد الرومانسية، بأسلوب إلقاء أكثر حدة، ودقة نفسية، وحساسية لغوية فائقة.

كما لحّن ريتشارد شتراوس (1864-1949)() أعمال هاينه، ناقلاً الأغنية الرومانسية المتأخرة إلى عالم هارموني أكثر ثراءً. وبحلول زمن شتراوس، لم يعد هاينه مجرد شاعر رومانسي، بل أصبح مصدراً كلاسيكياً للأغنية الألمانية.

- هاينه وعالم الحب الشعري؛

نادرًا ما يكون شعر هاينه عن الحب بسيطًا. فهو حافل بالزهور والدموع والعندليب والأحلام والقبلات والقبور والأنهار والنجوم والربيع - كل الصور التقليدية للشعر الغنائي الرومانسي. لكن هذه الصور غالبًا ما تخفي ألمًا. قد يكون الحبيب غائبًا، أو غير مبالٍ، أو قاسيًا، أو متزوجًا من آخر، أو تحوّل إلى ذكرى لا مفرّ منها للشاعر.

في العديد من قصائد هاينه، لا يُمثّل الحبّ اكتمالًا بل تكرارًا. يعود الجرح. يتحدث الألم القديم من جديد. يتذكر الشاعر حتى عندما يريد النسيان. لهذا السبب وجد الملحنون هاينه مناسبًا جدًا للمجموعات الشعرية. غالبًا ما تبدو قصائده وكأنها تنتمي إلى تسلسل نفسي: الرغبة، الأمل، الرفض، المرارة، الهلوسة، الذكرى، والاستسلام.

قصيدة "حب الشاعر" هي المثال الأمثل، لكن العالم العاطفي نفسه يظهر في العديد من السياقات الفردية. صوت هاينه الغنائي حميمي، ولكن وراء تلك الحميمية يكمن وعي ذاتي يكاد يكون مسرحياً. إنه عاشق ومراقب لمعاناته في آن واحد.

- هاينه الأكثر قتامة: أشباح، ونسخ متطابقة، وذكريات مُطاردة؛

لم تقتصر علاقة هاينه بالموسيقى الكلاسيكية على أغاني الحب فحسب، بل فتح شعره أيضًا عالمًا أكثر قتامة من الأشباح، والنسخ المتطابقة، والمدن الميتة، ورؤى البحر، ومناظر الأحلام، والعودة الغريبة. هذا هو هاينه الذي فهمه شوبرت بوضوح مُرعب.

في قصيدة "الشبيه"، يواجه الشاعر نفسه كشبح لمعاناة سابقة. تُعد هذه الصورة أحد أعظم رموز الرومانسية: الذات المنقسمة على ذاتها، العاجزة عن الهروب من الذاكرة.() القصيدة قصيرة، لكنها تحوي مأساة نفسية كاملة. يجعل تأليف شوبرت لتلك المأساة شبه لا تُطاق.

يستبق هاينه الأكثر قتامة هذا الأدب والموسيقى الحديثة اللاحقة. الذات غير مستقرة؛ الذاكرة تصبح طيفية؛ الحب يصبح مطاردة؛ السخرية تصبح دفاعًا ضد اليأس. وبهذه الطريقة، يتطلع هاينه إلى ما وراء الرومانسية نحو فن نفسي أكثر حداثة.

- هاينه والثقافة الفرنسية والأوروبية؛

أمضى هاينه معظم حياته اللاحقة في باريس، وأصبح وسيطًا بارزًا بين الثقافتين الألمانية والفرنسية. هذا البُعد العالمي له أهمية بالغة في الموسيقى أيضًا. كان هاينه ألمانيًا، يهودي المولد، اعتنق البروتستانتية لأسباب اجتماعية، فطنًا سياسيًا، أوروبيًا ثقافيًا، ومدركًا تمامًا لمعاناة المنفى والتهجير.

لذا، يحمل شعره توترًا خاصًا: فهو ينتمي إلى التراث الغنائي الألماني، ولكنه يتميز أيضًا بحساسية عصرية، حضرية، ساخرة، وأوروبية(). لـــم يكن هاينه حالمًا رومانسيًا محليًا، بل كان مراقبًا متمرسًا للحداثة، والسياسة، والحب، والفن، والنفاق.

هذا ما جعله جذابًا ليس فقط للملحنين الألمان، بل وللثقافة الموسيقية الأوروبية الأوسع. تراوحت قصائده بين الحميمية والشعبية، وبين الواقعية، والشك، والعمق الفكري.

- الإرث الموسيقي لهاينه؛

يُعدّ إرث هاينه الموسيقي واسعًا، ولكنه يرتكز بشكل خاص على بعض الإنجازات الجوهرية

- أولًا، أصبح أحد أبرز شعراء الأغنية الألمانية.()

- ثانيًا، ألهم اثنين من أعظم مُلحّني الأغاني، شوبرت وشومان، لإنتاج أعمال ذات عمق نفسي استثنائي. ()

- ثالثًا، منح المُلحّنين لغة شعرية تتعايش فيها الجمال والسخرية.()

من خلال أغنية "الشبيه" لشوبرت، أصبح هاينه جزءًا لا يتجزأ من تاريخ الأغنية الرومانسية. ومن خلال ألحانه المتأخرة لشوبرت، دخل هاينه أحد أكثر جوانب الأغنية الألمانية غموضًا ورؤيةً. ومن خلال مُلحّنين لاحقين، استمرّ صدى صوته يتردد عبر القرنين التاسع عشر والعشرين.

لم يقتصر شعره على تقديم اللحن فحسب، بل قدّم التناقض أيضاً. هذه هي موهبته الفريدة. قصائد هاينه لا تطلب فقط أن تُغنى بجمال، بل تطلب أن تُفسَّر، وتُطرح عليها التساؤلات، وتُجرح، وتُعمَّق من خلال الموسيقى.

- الخلاصة: الشاعر الذي تحولت سخريته إلى أغاني؛

تُعدّ علاقة هاينريش هاينه بالموسيقى الكلاسيكية من أهم العلاقات في تاريخ الأدب الألماني. لم يكن ملحنًا، لكن صوته الشعري أصبح أحد الأصوات الأساسية في الموسيقى الرومانسية. سمحت كلماته للملحنين باستكشاف الرقة دون عاطفية مفرطة، والحزن دون بساطة، والحب دون وهم، والجمال دون براءة.

هاينه هو شاعر القلب الرومانسي بعد أن تعلم الشك في نفسه. لهذا السبب كانت قصائده مثالية للموسيقى. يُغني الصوت، لكن البيانو يتذكر. يرتفع اللحن، لكن السخرية تُظلمه. يتحدث الحب، لكن خيبة الأمل تُجيب.

في تاريخ الموسيقى الكلاسيكية، يبقى هاينريش هاينه أحد أعظم شعراء الأغنية: كاتبٌ منح جماله الغنائي، وخطورته العاطفية، وذكاؤه اللاذع الملحنين الرومانسيين بعضًا من أكثر عوالمهم الموسيقية التي لا تُنسى.

آراء أدبية

((قيامة الورد)) جدلية الأمل والفناء... في شعر د. عثمان عبد صالح.

د. وليد عويد حسين

منذ أن تجاوز الشعر العربي حدود الوصف المباشر، انفتح على أسئلة الإنسان الكبرى، وفي مقدمتها أسئلة المصير والزوال والحضور والغياب والجدوى. ومن هذا التراكم تشكلت ذاكرة شعرية احتفظت بأصداء الحروب والانكسارات وتجارب الفقد والانتظار، فتحولت القصيدة إلى سجلّ روحي للإنسان العربي، ومرآة لتحولات الذات وهي تواجه عالمًا متغيرًا ومصيرًا ملتبسًا. وقد أسهم هذا الإرث في ترسيخ حساسية شعرية تجاه الزمن والخراب، فلم تعد الأطلال مجرد بقايا أماكن، وإنما غدت علامات على تآكل الأحلام وانحسار الأمان، وأخذت المفردات تتجاوز دلالاتها المباشرة لتدخل في عوالم رمزية أوسع.

وفي هذا السياق تبرز قصيدة ((قيامة الورد)) للشاعر والأكاديمي الدكتور عثمان عبد صالح، بوصفها تجربة شعرية تستثمر الرمز في مساءلة الواقع الإنساني والكشف عن طبقاته العميقة. فالقصيدة تجمع بين الرؤية الفكرية والحساسية الجمالية، وتستثمر مفردات مثل الورد والبحر والنوارس والمسمار والعنكبوت والشظايا في بناء عالم شعري تتجاور فيه الجراح مع الأمل، والانكسار مع التطلع إلى الخلاص.

ويحمل عنوان القصيدة مفتاحًا دلاليًا مهمًا؛ فالورد يستحضر الجمال والنماء وتجدد الحياة، بينما تستدعي القيامة معنى الانبعاث بعد الموت. ومن تفاعل المفردتين يتولد سؤال مركزي عن إمكانية التجدد وسط الخراب، وعن قدرة الإنسان على استعادة المعنى بعد استنزاف الرجاء. أما البحر فيحضر بوصفه فضاءً للمجهول والرحلة، وتظهر النوارس رمزًا للحرية والانعتاق، في حين يختزن المسمار ذاكرة الألم والتثبيت، بينما يحيل العنكبوت إلى الخراب والزمن المتراكم. وهكذا تتكامل الرموز في تشكيل رؤية واحدة تستكشف مأزق الإنسان في عالم مضطرب.

نص القصيدة:

هَلَكَ الرجاء على ضفاف ذكرى لا تجيء
وبملء عينيه اللتين علاهما شفقُ الرثاء
نزق تشبّث بالبقاء
ما أقبح الإنسان حين تمرُّ قافلة النسور
.. الفجرُ مَرَّ ولم تكن تعني لك الأضواء شيئا
ولقد صبرت وحين جفّ دمعكَ قد أكلت اللحم نيئا
مُتْ يا غريب
وتفرّقتْ آمالُ أُمكَ بين غانية وثكلى لا تنوحُ
ولا تتوق إلى البكاء
فإذا الأماني لوحة سمراء تعبق بالرماد
لا البحر يدري ما الذي طرد النوارس عن سواحله الكريمة
لا الأمنيات
وتسمرتْ مُهَجُ المصير
وعادةُ المسمار أن يُلغي أكاذيب الخشب
لكنّ عادة حظي المكسور أن تندق اخشاب
الفراغ برأس مسماري
وينهارُ السبب
والعالم الوضّاءُ هذا العالمُ الكذاب محبوسٌ
بضفّته العديمة
ولقد تظاهر بانتظام
أن يموت
من قال أنَّ الشاعر الجبار لن يأتي الحياة جنازة؟
قد جاء محمولاً بنعش قراره وعلى الجنازة عنكبوت
كانت تطير مع الشظايا جثتي
في ذمة الشعر المؤجل لن أكون
سوى انتحارْ.

البنية الموضوعية بين انكسار الكينونة واستنزاف الحلم:

تقوم البنية الموضوعية في القصيدة على حركة شعورية تتجه من الرجاء إلى الانكسار، ومن الحلم إلى الفناء، فتتوالى صور الموت والتبعثر والاغتراب في نسيج واحد. ويتضح ذلك في قوله: «قد جاء محمولًا بنعش قراره / وعلى الجنازة عنكبوت»؛ إذ تتداخل مفردات النعش والجنازة والعنكبوت لتشكيل مشهد يفيض بإشارات السكون والذبول وطول

الهجران، ويتحول الموت من مصير فردي إلى حالة تمتد إلى الإرادة والأحلام والعالم المحيط.

ويتعمق هذا الإحساس في قوله: ((لا البحر يدري ما الذي طرد النوارس عن سواحله الكريمة))؛ فالنوارس، بما تحمله من دلالات الحرية والانطلاق، تغادر فضاءها الطبيعي، بينما يبدو البحر حائرًا أمام غيابها. وتتحول الصورة إلى رمز لاضطراب علاقة الإنسان بالعالم وفقدان المكان الذي يمنحه الطمأنينة. ويؤكد النداء: «مُتْ يا غريب» عمق الاغتراب، إذ تتحول لفظة الغريب إلى صورة للإنسان الذي فقد الألفة والانتماء وأصبح محاصرًا بأسئلة المصير.

وتتكثف الرؤية في عبارة: ((العالم الوضّاء هذا العالم الكذاب))، حيث تكشف المفارقة بين البريق الخارجي والحقيقة الكامنة خلفه. فالعالم يبدو مشرقًا في ظاهره، لكنه يحمل في داخله الزيف والاضطراب، فتتحول القصيدة إلى مساءلة للواقع الذي فقد قدرته على منح الإنسان يقينًا ثابتًا.

الرمزية وتجليات الوعي المأزوم:

تتأسس رمزية القصيدة على تحويل المفردات المألوفة إلى علامات ذات أبعاد وجودية. ويأتي الورد في العنوان بوصفه رمزًا للحياة المتجددة، في حين تمنحه «القيامة» معنى الانبعاث بعد الفناء، فينشأ من اتحادهما أفق دلالي يقوم على التوتر بين الأمل والموت.

تتمة ص التالية

قيامة الورد: جدلية الأمل والفناء

ويبرز المسمار والخشب في قوله: ((وعادة المسمار أن يلغي أكاذيب الخشب / لكن عادة حظي المكسور / أن تندق أخشاب الفراغ برأس مسماري)). فالمسمار الذي يرتبط عادة بالتثبيت والإحكام يتحول هنا إلى أداة لاستنزاف الذات، بينما تمنح عبارة ((أخشاب الفراغ)) المجردَ هيئةً ماديةً، فتجسد عالمًا فقد تماسكه وأصبح الإنسان فيه عاجزًا عن العثور على ما يستند إليه.

أما العنكبوت في المشهد الجنائزي فيرتبط بالخراب والزمن المتراكم، في حين تحيل الشظايا إلى التفتت والانفصال عن الأصل، كما في قوله: ((كانت تطير مع الشظايا جثتي))، حيث تتوحد الذات مع حالة التشظي، وتصبح الجثة جزءًا من عالم ممزق فقد وحدته الداخلية.

ويكتمل البناء الرمزي في صورة البحر والنوارس والعالم الوضّاء الكذاب، فتنتظم هذه العناصر في منظومة واحدة تكشف وعيًا مأزومًا يرى العالم مجالًا للاغتراب والخذلان، مع استمرار التطلع إلى خلاص مؤجل.

البنية الفنية والجمالية: جماليات التصدع وإيقاع الوعي المأزوم:

تقوم البنية الفنية على التكثيف والانزياح والتداعي، إذ تتحرك اللغة وفق منطق التجربة النفسية لا وفق تسلسل سردي تقليدي. ويتجلى التكثيف في قوله: ((نزق تشبّث بالبقاء))، حيث تختصر العبارة صراعًا داخليًا بين الاندفاع والرغبة في التمسك بالحياة.

ويتشكل الإيقاع الداخلي من تتابع الأفعال والصور، كما في: ((تفرّقت آمال أمك)) و((تسمرت مهج المصير))؛ فالفعل الأول يوحي بالتبعثر، بينما يعبّر الثاني عن السكون والجمود، فيتحرك الإيقاع بين الانفلات والتوقف، بما ينسجم مع اضطراب الذات.

وتتجلى جمالية الانزياح في قوله: ((الفجر مرّ ولم تكن تعني لك الأضواء شيئًا))؛ فالفجر الذي يرتبط عادة بالبداية والأمل يفقد أثره، وتصبح الأضواء عاجزة عن الوصول إلى الداخل. وهنا تنكشف المسافة بين العالم الخارجي والحياة الباطنية للإنسان، فتتحول الصورة إلى تعبير عن فقدان الأشياء قدرتها على منح المعنى.

البعد الفلسفي والوجودي: مأساة المعنى في أفق العدم المؤجل:

تتجاوز القصيدة التجربة الفردية لتطرح أسئلة الوجود والمصير والجدوى. ويظهر ذلك بوضوح في قوله: ((في ذمة الشعر المؤجل لن أكون / سوى انتحار))، حيث يصبح ((الشعر المؤجل)) علامة على زمن معلق بين الرغبة والتحقق، بينما يمثل ((الانتحار)) ذروة الاستنزاف الوجودي وانهيار القدرة على الانتظار.

ويتصل بذلك قوله: ((تسمرت مهج المصير))، إذ تتوقف الذات أمام مصير يبدو أكبر من قدرتها على الفعل، فتبرز أسئلة الحرية والضرورة ومحدودية الإرادة. ويأتي النداء ((مُتْ يا غريب)) ليكشف خبرة الاغتراب الإنساني، فيما تتحول الأماني إلى ((لوحة سمراء تعبق بالرماد))، فتغدو الأحلام آثارًا لما احترق منها.

ومع ذلك لا تستسلم القصيدة للفناء استسلامًا نهائيًا؛ فالعنوان نفسه، ((قيامة الورد))، يترك منفذًا للتجدد. ومن هنا تنشأ جدلية القصيدة الأساسية، فالفناء حاضر في الصور والمصائر، والأمل حاضر في رمز الورد وفي فكرة القيامة. وبين الطرفين تتحرك الذات الشعرية، معلقة بين عالم يتداعى وحلم يصر على البقاء.

وعليه، تتشكل ((قيامة الورد)) بوصفها رؤيا شعرية تجعل من الجرح مدخلًا إلى التأمل، ومن الرمز وسيلة للكشف عن مأزق الإنسان المعاصر. فالورد والمسمار والخشب والعنكبوت والشظايا والبحر والنوارس ليست عناصر متفرقة، وإنما حلقات في بنية دلالية واحدة، تتقاطع فيها أسئلة المصير والاغتراب والانتظار وتآكل المعنى. وتكمن خصوصية القصيدة في أنها تحول الانكسار إلى طاقة جمالية، والفناء إلى سؤال عن إمكان القيامة، فتظل صورة الورد في النهاية علامة على أمل مؤجل، يواصل حضوره في أعماق الروح رغم ثقل الخراب.

الدكتور عثمان عبد صالح: هو أكاديمي ومتخصص عراقي في اللغة العربية وآدابها، ويُعرف بنشاطه البارز في تدريس مناهج اللغة العربية لطلاب المرحلة الإعدادية (السادس الإعدادي) في العراق.

« دائرة الفنون الموسيقية» تستعد لحفل الأغنية العراقية

الفرقة المركزية تواصل بروفاتها استعداداً لحفل الأغنية العراقية والتراثية.

جانب من التغطية الخاصة للحفل الموسيقي الذي أقامته دائرة الفنون الموسيقية لـ الأغنية العراقية التراثية على قاعة الشعب، والتي أُحييت فيها أجمل الألحان والنوتات التي طالما سكنت الوجدان.

وتواصل الفرقة المركزية التابعة لدائرة الفنون الموسيقية بروفاتها وتمارينها الفنية بقيادة المايسترو علي الخصاف، استعداداً لإحياء حفل مميز يحتفي بالأغنية العراقية والتراثية.

ويأتي الحفل برعاية وزيرة الثقافة وكالةً السيدة سروة عبد الواحد، وإشراف وكيل الوزارة لشؤون الفنون الأستاذ قاسم السوداني، ومتابعة الدكتور فائز طه العبيدي، مدير عام دائرة الفنون الموسيقية، في إطار الاهتمام بالموسيقى العراقية ودعم الفنون وتعزيز حضور الموروث الغنائي في المشهد الثقافي.

وتشهد البروفات تكثيفاً في التمارين والمراجعات الموسيقية، بهدف الوصول إلى أداء متكامل يليق بمكانة الأغنية العراقية، من خلال برنامج فني يجمع بين أصالة التراث وجمال اللحن وروح الأداء المتجدد.

ويعد الحفل المرتقب مساحة فنية لاستعادة روائع الأغنية العراقية والتراثية، والاحتفاء بالإرث الموسيقي الذي ظل حاضراً في ذاكرة ووجدان العراقيين.

وتشهد البروفات تكثيفاً في التمارين والمراجعات الموسيقية، بهدف الوصول إلى أداء متكامل يليق بمكانة الأغنية العراقية، من خلال برنامج فني يجمع بين أصالة التراث وجمال اللحن وروح الأداء المتجدد ـ حسب البيان الصادر عن الدائرة.

ولم تضع الدائرة في بيانها موعدا محددا لإقامة الحفل، لكنها أفادت بأنه سيقام قريبا

مراجعات فكرية

مراجعة كتاب: « البقايا ـ جاك دريدا » نص تعليق/ بليشيت دي أرميت ، كاس سغافيا

(4)

شعوب الجبوري

ت: من الألمانية أكد الجبوري

"وفقًا لهذه الوساطة، أُدرك حركة العلاقة بالآخر"، ما يُسمّيه دريدا علاقةً بلا علاقة "تُدرك الآخر كآخر في علاقةٍ مُعيّنةٍ من عدم الفهم"، استنادًا إلى الشرط الدائم بأن "يبقى الآخر آخر". يقول دريدا(): "إنها نفس الغيرية؛ فالثقافة هي الطبيعة المؤجلة/ المختلفة، والروح هي الطبيعة المؤجلة/ المختلفة، والتاريخ هو الطبيعة المؤجلة/ المختلفة - في هذه اللحظة يكون المرء في حالة اقتصاد." () هذه ليست تصريحات متاحة على نطاق واسع حتى بين جمهوره الناطق بالفرنسية؛ ولكن فيما يتعلق بالمشروع الحالي، فإن استخدام هذا الاستنباط الأوسع للأنطولوجيا هنا كجزء من شرح "اقتصاد التضحية" يُعد إضافة فريدة ومرحب بها بشكل استثنائي لمسألة الباقي باعتباره "ثقافيًا قبليًا."

لا يعني هذا أن سغافي يتجاهل تمامًا العلاقة بين الباقي والوجود. ثمة مثالان نادران وغنيان بالمعلومات جديران بالذكر. فعند إدراج كتاب "الأثر والأرشيف" الصادر عام 2002()، على سبيل المثال، ورد أن مفهوم "الباقي" عند دريدا اعتُبر "محاولة صريحة لتمييزه عن الوجود"(). وبحسب سغافي، يؤكد دريدا هنا "مجددًا أن الباقي ليس تعديلًا للوجود بمعنى الجوهر أو المادة أو الوجود... **يبقى الأثر، إذن، ولكنه ليس هو... إن مسألة الباقي، الباقي من الأثر ، يتجاوز كل وجود" ().** يُقدّم مثالٌ مماثلٌ لا لبس فيه إشارةً مطوّلةً إلى نصٍّ نادرٍ وغير مترجمٍ بالمثل، وهو "الآخرية" (1986)(). وبالعودة، كما يُقرّ سغافي، إلـــى بلانشو، ولكن أيضًا بشكلٍ واضح إلى ليفيناس في "أثر الآخر" (1963)() و"بخلاف الوجود" (1974)()، يُخبرنا النصّ بأنّ معالجة دريدا العامة لـ"الاقتصاد" تنطوي على ما أسماه هناك "المفارقة"، أي العلاقة بلا علاقة، وهي تحديدًا "علاقة انقطاع. لكن هذا الانقطاع لا يقطع العلاقة بالآخر، بل يفتحها"(). "وفقًا لهذه الوساطة، أُدرك حركة العلاقة بالآخر"()، ما يُسمّيه دريدا علاقةً بلا علاقة "تُدرك الآخر كآخر في علاقةٍ مُعيّنةٍ من عدم الفهم"، استنادًا إلى الشرط الدائم بأن "يبقى الآخر آخر". يقول دريدا(): "إنها نفس الغيرية؛ فالثقافة هي الطبيعة المؤجلة/ المختلفة، والروح هي الطبيعة المؤجلة/ المختلفة، والتاريخ هو الطبيعة المؤجلة/ المختلفة - في هذه اللحظة، يكون المرء في حالة اقتصاد." هذه ليست عبارات شائعة حتى بين جمهوره الناطق بالفرنسية؛ ولكن فيما يتعلق بهذا المشروع، فإن استخدام هذا الاستنباط الأوسع للأنطولوجيا هنا كجزء من شرح "اقتصاد التضحية"() يُعد إضافة فريدة ومرحب بها للغاية لمسألة الباقي بوصفه "قبليًا ثقافيًا()."

الخلاصة؛

كلمة أخيرة حول الترجمة، وللأسف، حول جودة الطباعة. ترجمة دي أرميت وساغافي ممتازة إلى حد كبير، مما يُضفي قيمة عامة على أسلوب دريدا النثري. فعندما يعتمد النص على عائلة لغوية معينة في التورية - مثل كلمة "الشراكة" التي تعني "ينتمي"، و"الجزء" التي تعني "الجزء"، و"انحاز إلى أحد الجانبين" التي تعني "ينحاز إلى جانب"، وما إلى ذلك، أو كلمة "الضفة/الطرف" التي تعني "حافة" في كلمة "فيضان" التي تعني "يتجاوز" وما شابه - يحافظ دي أرميت وساغافي في الغالب على ترابط النص. ولكن هنا وفي مواضع أخرى، يغيب التوثيق المفيد للنص الفرنسي الأصلي بشكل متكرر بما يكفي ليُلاحظ. ومن المثير للدهشة، على سبيل المثال، أن كلمة "الباقي" التي تعني "الآثر" تظهر على شكل "متبقي" و"بقايا" و"زيادة" في صفحة واحدة، مع ذكر النص الفرنسي مرة واحدة فقط()؛ إذ أن العمل برمته يعتمد عـلى القـدرة على تتبع هـــذه العائلة اللغوية

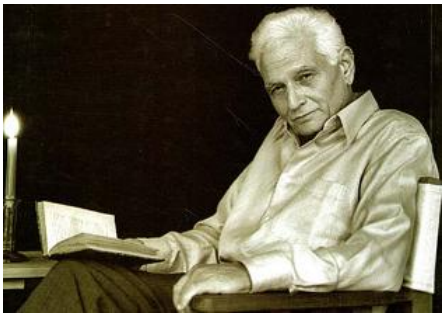

تحديدًا. ويتساءل المرء عما إذا كان استخدام كلمتي "الدنس" بمعنى "التلوث" و"الشائب" بمعنى "العدوى" معًا، ليصبحا "التلوث" فقط، لا يندمج ضمنيًا مع التمييز الذي أراد دريدا إبقاءه مفتوحًا(). ومثل هذه الملاحظات، تبرز ملاحظة أخرى جديرة بالاهتمام، وإن كانت مقبولة، وهي الترجمة الصحيحة تقنيًا لعبارة "أعني" بمعنى "أي"، ولكن في الصفحة نفسها التي تدور حول "مشروع المعرفة، وما يجب أن نعرفه لكي نعرف كيف نؤدي واجبنا تجاه أنفسنا"(). ربما كان من الأفضل لو أبقيت كلمة "يعرف/يعلم" كما هي. ولكن عمومًا، باستثناء بعض أخطاء التنسيق والتدقيق اللغوي المهمة، فإن الترجمة ولا ينبغي لأي من هذه الملاحظات أن تثني القارئ عن قراءة كتاب" البقايا" الذي يهدف إلى جذبه. أي شخص مهتم بمعرفة إلى أين قادت تأملات دريدا المطولة حول الإدماج/ الاستبطان في نهاية المطاف، أو بتفاعل الغياب والبقايا في التكوين والتاريخية والزمنية وتكوين الهوية، سيجد في كتاب "بقايا - جاك دريدا" نقطة انطلاق لا غنى عنها باللغة الإنجليزية، بغض النظر عما إذا كان ينجذب أكثر إلى دلالاته الأدبية أو الدينية أو التحليلية النفسية، أو، كما أميل إلى التأكيد، إلى دلالاته الظاهراتية تحديدًا. ينبغي لنا نحن الذين نكرس أنفسنا لدراسة دريدا بعمق أن نفسها جديرة بالثناء.

نكون ممتنين لوجود مثل هذا المنشور المتاح الذي يضم بعضًا من "كلماته الأخيرة" حول هذا الموضوع الأوسع. كل ما تبقى هو أن هناك الكثير من الدراسات التي لا تزال بحاجة إلى إنجاز، والتي أُثريت بشكل كبير بجهود دي أرميت وساغافي.

انتهى

مرايا

أرنست همنغواي في جايخانة عمّو نادرو

مراد سليمان علو

الزمان هو مرحلة الطفولة في أوائل السبعينات، والمكان هو أجمل مدينة في العالم ـ لم أر أجمل منها ـ كانت جميلة بمدرستنا الابتدائية، مدرسة سنجار الثانية الابتدائية للبنين، وببساتينها، وجايخاناتها، وبالرفقة الحلوة من أصدقاء هم ألطف من الملائكة.

لعبتنا المفضلة في تلك الأيام كانت جمع تصاوير نجوم الفن والرياضة، نلعب بها ونقامر بها، ومن يكون محظوظا تعطيه أمه نصف درهم، (خمسة وعشرون فلسا بالتمام والكمال) فيخرج من البيت راكضا إلى سوق شنكال التحتاني ويشتري طبقة كاملة غير مقصوصة من أولئك النجوم الذين لم يبارحوا خيالنا يوما.

بعض من تلك الطبقات المصورة كانت تحتوي على (25) صورة، وقسم منها أقل عددا، حسب حجم الصورة، ومنشأ طبعها. وكل صورة كانت تحمل اسم النجمة أو النجم صاحب الصورة، ورقم تسلسل خاص بها.

في يوم ـ لا أتذكر اليوم بالضبط ربمّا كان يوم جمعة، أو عطلة ما ـ كنا جالسين نحن أبناء محلة بربروش كعادتنا في أيام الجمع والعطل، في جايخانة عمو نادرو الملاصقة لدكان أبي، كنت بصحبة شقيقي الأكبر مال الله، وعرض فلم أجنبي لكاري كوبر، وكل ظني كان فلم ويسترن. وفي لقطة من لقطات الفلم جلس كاري كوبر على صخرة، متأملا يحمل بندقيته، وفي حضنه شاب قصير الشعر. هكذا استقبلت الصورة في ذهني، وفي نفس اللحظة أدركت إن هذه اللقطة قد صورت، والصورة هي ضمن تصاوير أولئك النجوم الذين نلعب بصورهم ونجمعها ونحبها.

تأكدت من الصورة لاحقا، وأدركت إنها تحمل الرقم، أو التسلسل (98)، فأحببت تلك الصورة أكثر من غيرها، وكأن لي معها حكاية مباشرة. وكنت كلما أرى تلك الصورة أتذكر جلوسي مع شقيقي في الجايخانة ونحن نتفرج على ذلك الفلم، وأتخيل تلك اللقطة المميزة.

راحت تلك الأيام، وذلك اللعب البريء، وبعدها ذهبت إلى الموصل للعمل والدراسة، وشاهدت معظم الأفلام المعروضة في دور سينمات الموصل من عام (1977) والى العام (1984). ولكنني لم أشاهد ذلك الفلم، لا بد إنه فلم قديم، وبالأسود والأبيض. هكذا كنت أواسي نفسي، ولكنه بقي في بالي كذكرى تأبى الرحيل.

وتمضي سنين العمر وأستقر في ألمانيا، ومن ضمن نِعم شبكات التواصل الاجتماعي مع أنترنت مستمر وقوي عثرت على مجموعة في الفيسبوك تطلق على نفسها: (سينمات الموصل. صور، وذكريات) ومن ضمن منشوراتها كانت يوما تلك المجموعة من الصور. حملت الصورة، وخزنتها في حاسوبي، وبدأت أعيد تلك الذكرى السعيدة عندما شاهدت تلك اللقطة المميزة في فلم ما لكاري كوبر في الجايخانة بصحبة شقيقي. لا أعرف اسم الفلم، ولا الشاب الذي كان يحضنه.

بقي الأمر يؤرقني وكأنني لم أحضر واقرأ درس لي سأمتحن فيه غدا. فاستعنت بتطبيق للذكاء الصناعي اسمه: (Gemini) وهو نموذج ذكاء اصطناعي متطور من تطوير جوجل، يقوم بأشياء مبدعة، فسألته كصديق لأنني لا أتعامل عادة مع الذكاء الاصطناعي، قلت له:

" لو أرسلت لك صورة ممثل، هل ستتمكن من معرفة اسم العمل الفني لتلك اللقطة؟"

أجابني بعد أن أرسلت له الصورة:

"هذه الصورة للفنان العالمي كاري كوبر، ومن فلمه الشهير (لمن تقرع الأجراس) عن رواية أرنست همنغواي. سنة الانتاج كان سنة (1943). والشخص الذي في حضنه هو الممثلة النمساوية المعروفة انغريد بيرغمان.

دهشت لهذه المعلومات الكثيرة والدقيقة. كل هذا الوقت الفلم الذي شاهدته هو من رواية أرنست همنغواي كاتبي المفضل والذي قرأت له هذه الرواية في شبابي في الموصل، دون أن أدري إنها قد تحولت إلى فلم.

بحثت عن الفلم في الشبكة وعثرت عليه، وشاهدته ـ أون لاين ـ ثانية، وأنا أعيد تلك الذكريات:الصور التي مررنا أصابعنا الصغيرة

عليها، والصحبة الجميلة في مشاهدة كل تلك الأعاجيب في التلفزيون الأبيض والأسود في جايخانة عم نادرو، وصورة المصارع عدنان القيسي التي كانت تنتصب فوق التلفزيون.

كل هذا الوقت كنت أظن إنه كان مسلسلا من الغرب الأمريكي؛ لأن تلفزيون العراق آنذاك كان يعرض تلك المسلسلات في أيام الجمع، مثل مسلسل (روهايد) و (دخان البنادق) وغيره، وتأكد لي أذن إننا قد شاهدناه في نهار عطلة ما ولهذا عرض التلفزيون فلما وليس حلقة من مسلسل، والأمر الآخر الذي وضح أكثر بأن الشخص في حضنه كانت فتاة، لأن الصورة لم تكن واضحة والممثلة انغريد بيرغمان كانت حليقة الشعر في الفلم مما سهل خداع العقل والذاكرة كل هذه السنوات.

أما أن يكون الفلم مقتبس من رواية من روايات أرنست همنغواي فتلك كانت البهجة والصدمة في نفس الوقت، وكأنه كان يعاتبني بعينيه الحادتين وهو جالس كل هذا الوقت في نهاية الجايخانة منتظرا أن أحل لغز الصورة المرقمة (98) للنجم كاري كوبر وفي حضنه انغريد بيرغمان.

حاولت أن اقرأ الرواية (لمن تقرع الأجراس) ثانية، وطبعا القراءة كانت على الأنترنت لعدم وجود مكتبة عربية في المدينة التي أعيش فيها، ولكنني لم أكمل الرواية، دائما كانت تلك الصورة تداعب خيالي وأنا اقرأ في صفحات الرواية. وكانت الأحداث تستبق قراءتي في المجيء إلى ذهني فقد سبق لي قراءة الرواية، والآن أنا أقرأها لهدف آخر غير القراءة، وهذا أسوأ ما يقع فيه القارئ.

أعذب تمثيل لنجمات ونجوم السينما هي تلك اللقطات التي تلتصق بالذاكرة وتأبى مغادرتها، وهو أمر يتمناه رواد السينما ومدمني مشاهدة الأفلام من أمثالي.

طوال حياتي لم أكن أدرك بأنني اجمع حزن النجمات القريبات إلى قلبي، وأراها في دمعة سبية عندما تغني أم كلثوم في ليالي الغربة.

مسرح

"الجمالي الفلسفي والسوسيوسيولوجي" * «المسرح والهوية حوار جمالي في الإشكالية» (1)

جواد الأسدي يسجن شخصياته المقهورة في "سيرك"

المعارف و الفنون هي منجز الإنسان في حراكه بولادة الفكر ومن ثمّ ظهور العقل العلمي وإنتاج الثقافة تشخيصا لمنطق التقدم في الحياة الإنسانية وتطور المجتمعات بولادة دولة (المدينة) وفيها مؤسسها و جوهرها "الإنسان". وباستثناء المعارف العلمية الصرفة وما تتبدى فيه من هوية محددة رياضياً فإنَّ بقية النتاجات الإنسانية اتخذت وتتخذ مظاهر متعددة منحتها تبعاً لظروف ولادتها و تطورها حال التنوع ولربما الاختلاف أو حتى الوقوع أحياناً بفخ الخلاف الذي يكون مصطنعاً مختلقا بالضد من الطابع الإنساني القائم على منطق الوحدة في التنوع في جماليات فلسفته.

وعليه تميل الثقافة المرادف للأنسنة بوجودها المعاصر المتقدم إلى التعبير عن سمات الفرد أو خصائص الفئة لأسباب مختلفة، تكمن في طبيعة كينونة الفنون والآداب على وجه الخصوص؛ حيث تعادل الفنون والآداب (قيمة) محددة بعينها، و ليست "القيمة" التي نشير إليها هنا؛ هي المعايير المحددة القياسية كما هي في العلوم الرياضية الصرفة، وإنَّما هي (قيمة) أخرى، من نوع خاص تتجسد فيما تحمله من ثنائية – ما أنْ تنفصل أوتتفكك حتى تسقط في تمثيلها القيمة الأدبية أو الفنية – و هذه الثنائية هي ثنائية المتعة - المنفعة أو إشباع (رغبة) انفعالية في ذات الوقت الذي يتم فيه تحقيق (غاية) إدراكية ملموسة.

ومن هذه الحقيقة بات لزاماً التحدث عن الوظيفة الاجتماعية للفن والأدب تلك الوظيفة التي يستجيب فيها (النص) لمتطلبات الحاجات العاطفية والعقلية أو بعبارة أخرى الاستجابة (لاهتمامات) الجماعة و الأفراد في نطاق المجتمع المعين و في زمن معين أيضاً. و تلك الحقيقة نفسها تلزمنا التحدث عن ارتباط الأنواع الأدبية و (الفنية) بمستويات حضارية محددة حيث يمثل كل نوع أدبي نقطة تقاطع محورين-:

الأول:- هو المحور العمودي المتمثل بالمسار الزمني للتطور.

والآخر:- هو المحور الأفقي المتمثل بتفاعل التجاريب المتزامنة في بيئة مكانية.

أُذكِّر هنا بالتعبير البدائي الأول من حكايات خرافية وأساطير و بكل أنواع التعبير التي ظهرت بعد ذلك حتى يومنا هذا، تلك الأنواع التي احتضنت كل بنية من بناها الخصائص التي تكاثفت في نقطة التقاطع المشار إليها.

وبتركيز تناولنا على المسرح فإنَّ جوهره، اي الحدث الدرامي، إنما يمثل التعبير الجمالي عن المدين في دولة المدينة ومسار تطورها التاريخي المعروف.. سواء كانت تلك المدينة هي المدينة السومرية أم الفرعونية أم الإغريقية أم الهندية بالإشارة إلى مسارح تتنوع في أداءاتها.. فالأسطورة السومرية وحورايات الفراعنة والهنود ودراما الإغريق هي نماذج تقبل القراءة الدرامية عندما نتخذ من أحدث معالجات نظرية الأدب ونظرية الدراما منطقا للتناول...

شفيق المهدي ـ نصوص عالمية بمضامين فلسفية

وفي هذا الإطار لقد جاء الحدث الدرامي، من جهة معطيات العلائق الداخلية لبنيته، ليؤكد نقلة نوعية جديدة تحطمت في ضوئها الذاتية – الغنائية المحدودة لتغتني وتنمو الموضوعية الملحمية الأحادية في خط وجودها الأول.. وهكذا، قدَّمَ الحدث الدرامي نموذجه الخاص

أ.د.تيسير الآلوسي*

في التعبير الجمالي. إذ أوجد النص الدرامي روابطه بجمهوره المتلقي باستقلالية عن ارتباط القصيدة (الغنائية) الطابع والملحمة أيضاً بذاك المتلقي.. فحدث درامي لا يمكن أنْ يكونَ له وجود إلا ذلك الوجود الناقص أو المشوه، من دون أن يكون على الركح و أمام الجمهور؛ إذن فالحدث الدرامي و بصورة أدق المسرحية هي فن الوجود الجماعي في خيمة أو مساحة تُدعى المسرح أكان الصالة المغلقة أم الميادين المفتوحة..

إن هوية التمدين التي ارتبطت بدولة المدينة الأولى لم تحدد نفسها باشتراطات أحادية كما نلاحظ هنا ولم تميز وجودها بعنصرية تراتبية لفوق وتحت أو لإقصاء أشكال التعبير الأخرى بل امتاحت منها أركان طابعها وشخصية هويتها الفردية الجمعية بمنطق سايكوسوسيولوجي واضح وملموس..

و إذا كان المسرح يقدم بشخصيته وتعريفه كل تلك المعطيات الممتدة مجتمعيا ميدانياً عبر تكوينية ارتباطه بالجمهور فإنه يقدم إذن، مشروعية البحث في هويته بوصفه عملاً أدبياً فنياً؛ ومن ثمّ فإنه لا ينفي وجود قاسم مشترك على صعيد قوانين الخطاب الأدبي (والفني)، يتجسد في الحدود التجريدية لذلك الخطاب بوصفها قوانين النوع أو الجنس التي تستدعيها كل بنية مخصوصة جديدة.

لماذا الخصوصية؟ وما الهوية؟ وما التناقض بين ضرورة الهوية وانعدامها نهلستياً

---

* المسرح والهوية حوار جمالي فلسفي في الإشكالية نص محاضرة: محاولة اشتغال متجددة.. لأهميتها نقوم بنشرها على حلقات

* أستاذ الأدب المسرحي

تتمة ص التالية

لقد أوردنا بتعريف المسرح ما يتحدث عن شرعيةِ البحث عن (خصوصية ما) ما يؤهل للبحث عن العوامل المسببة لتلك الخصوصية المتشربة بالهوية مفهوماً جماليا فلسفيا وعمقا سايكوسوسيولوجيا.. ونحن نرى هذا في تقسيم نضعه بصورة موجزة سريعة تقع في موضعين أو عاملين رئيسين هما-:

(العامل الخارجي) و (العامل الداخلي).

فأما العامل الخارجي(الأول فيه الجمهور) فإنَّه ينبع من كون المسرح جزءاً بنيوياً مهماً في المؤسسة الثقافية للمجتمع، أما كيف يكون المسرح جزءاً من هذه المؤسسة فإنَّ ذلك يعود إلى طبيعته الجماهيرية أو وجوده الموضوعي في إطار حركة الإنتاج المجتمعي الجمعي لا الفردي.. فدائرة خطابه لا تكتمل وتتم إلا باكتمال حلقة أو دائرة (كاتب ـ مخرج ـ ممثل ـ متلقي) وهي دائرة تعبر عن (النص – التنفيذ – التفاعل الجمعي ثنائي الاتجاه بين المرسل والمتلقي)، هنا سنتذكر حتماً افتراض أن استهلاك المنجز أو تلقيه أما سيقع بمنطق تحطيم الجدار [المتوهم] أو الوقوع بكماشة تأثير المنجز حتى بمنطق برودواي أو المسرح التجاري أو مسسرح الإبهار البرجوازي بمرجعية فلسفته.. الأمر الذي يختزن مضامين بعينها لتشكيل الوعي الجمعي وتوجيهه عبر الاسترخاء والسلبية في تمظهرها شكليا لكنها الملتزمة رؤية بعينها في جوهرها...

وإذا كان من سيبقى من الوجود الجمعي بعيداً عن المسرح ووجوده أو سلبي الزيارة منفصماً عن ردّ الفلسفة التي تنتزع المضمون بذرائع إلغاء النص \ موت المؤلف الكاتب أو إظهار مفتعل للإبهار البصري وكأن تلك الإيقونات هي ثيمات فارغة بالزعم والادعاء فإن الواقع يكمن بالمحصلة بين تعطيل الوعي الجمعي القائم على إعمال العقل ومشاركته في المنجز الذي وُلِد في كنف التقدم البشري نحو التمدين ودولة المدينة وإبعاد المجتمع عن الفعل كمن يريد تفشي الأمية الأبجدية و\أو الحضارية بقطع الطريق على إرادة الإنسان في تبني جماليات تنتمي إليه..

بالمناسبة هنا أشير إلى النهلستية العدمية عندما تتعارض في اشتغالاتها مع الهوية وكأن الكوزموبوليتي في نطاق بعينه ربما يسميه بعضنا العولمة هو الهوية النهائية للمسرح ولمجمل الآداب والفنون.. لكننا متأكدون من أنّ ديتويفسكي لم يكن عالميا إلا بمزيد تمسك بروسيته ولا همنغواي إلا بتمسكهما أكثر بهويتهما القومية المحلية.. فمزيد روح وطنـــي محلي لنجيب محفوظ أو غابرييل غارسيا ماركيز منحهما مزيد عالمية في التفاعل والتداول..

من جهة أخرى، وبشأن التلقي والمتلقي فإن الأول ليس فعلا طارئاً ولا الثاني أي المتلقي (الجمهور المسرحي) بزائر طارئ للمسرح، و إنَّما الفعل والفاعل الجمهور يمتلكان نسبة (ثبات) في علاقتهما أو ارتباطهما بالمسرح وعامل الثبات هذا يشكل فرصة لدراسة المشترك عند هذا الجمهور والعلامات الفلسفية والسايكوسوسيولوجية وما تضفيه خصائص الانتماء الثقافي والوجداني على البنية المسرحية وتفاعلات التلقي ومن ثم ولادة الهوية التي نتحدث عنها، وهذا بالضرورة يشكل دافعاً جديا واقتضاءً حتمياً لمعالجة الشخصية القومية والوطنية للمسرح انطلاقا أو تأسيسا من دواع موضوعية من جهة والتصاقها بدواعٍ بنيوية داخلية من أخرى...

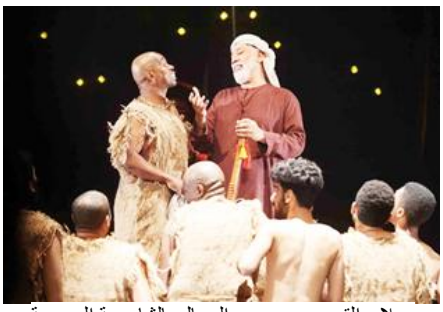

صلاح القصب .. مسرح الجمال بالشاعرية البصرية

على أن العامل الخارجي لم ينته بهذا الحد وإنما فيه ركن آخر يدعونا لتوثيق الموضوعي في المسرح ألا وهو **ركن الثيمة** -: حيث إنَّ دراسة هذه الخصوصية الهوية تحيلنا إلى حقيقةٍ مهمةٍ هي أنَّ لكل مجتمع موضوعاته، [لنتذكر أن ما يضحك منه فرد أو فئة قد لا يكون كذلك عند آخرين وليس عيبا أن تختلف أو تتنوع حالات التلقي وظروف تأثيراتها] و حتى عندما يعالج موضوعات إنسانية شاملة فإنَّ كل مجتمع ومسرحه يعالجها من وجهات نظر وزوايا تخصُهُ و ترتبط بإسلوبه المتميز [أذكّر هنا بمسرحية البخيل بين فرنسا ومصر والعراق كيف ظهرت بكل مسرحية وبنيتها وخطابها].

و من أجل ذلك وفي ضوئه، فإنَّ التزام المسرح عربيا، وطنياً و\أو شرقاً وسطيا لموضوعات مجتمع بعينه، يُعَد تحصيل حاصل لتلك الحقيقة وقوانين اشتغالها في إيجاد المسرح والمسرحية. ومن معطيات هذا الالتزام بروز ظاهـــرة المسرحية الاجتماعية وسيادتها طوال العقود السبعة الأولى من القرن العشرين وموضع ظهور مسرحيات البطولة القومية التاريخية ومعطيات قراءتها سيميولوجيا [بدراسة أنظمة العلامات التي أنتجها أو ابتكرها الإنسان بما يمنح فرص قراءة معاني دالة في إطار علاقات بعينها وبالارتباط بسلوك الإنسان فرداً أو جماعة]. وسنشير إلى أسباب هذه الظاهرة في موضع لاحق....

العوامل الداخلية لشرعية الخصوصية الوطنية في العمل الأدبي و الفني – :

جاء تقديم العوامل الخارجية على الداخلية، ليس لأنها الأهم و لكن لاختصار المعالجة والتعجيل بانهائها لصالح معالجة العوامل الداخلية التي تُعَد جدلاً العوامل الحاسمة في معالجة النص الأدبي أو الفني, و الأكثر أهميةً أيضاً. فإذا عدنا إلى عناصر البنية الدرامية فإنَّنا نُجابَهُ بعنصرَي (الشخصية و الحوار) ثم (الصراع و الحبكة) و هو ما يقتضي منا التفصيل فيه للوصول إلى قراءة موضوعية لمعنى الخصوصية أو الهوية.

المسرح والهوية: معالجة مستقلة في الهوية قبيل إدخالها في في ثيمة الاشتغال المتخصص مسرحياً

ولنتحدث هنا بما يشبه الوقفة التفصيلية عن الهوية الثقافية كونها تشتغل بجدلية الذات والآخر لتعيد كل جماعة بشرية قراءة ثقافتها في ضوء اتصالاتها الثقافية-الثقافية مع وجودها ومع الآخر، وفي ضوء متغير المصادر القيمية والسلوكية، وموضوعيا بناء على أشكال التأثير الناجم عن علاقة الذات بالبيئة المحيطة.. ومن ثم بمستوى الأمم والشعوب سيكون للانكسارات الاستراتيجية دافع خطير للانكماش والانكفاء على الماضي واستدعاء سلبياته بفعل الاحباط والتنحي والخضوع لاستعباد من نمط بعينه وهو ما أشير فيه إلى الانكفاء أكثر من مرة في تداخلي بهذه الأمسية أقصد اشارة إلى الانكفاء على القوالب الماضوية ما قبل المسرحية في المنطقة بين مرحلة الحضارات القديمة وعصرنا أي بمرحلة اضطربت بأغلبها تحت أقدام غير عربية وغير شرق أوسطية..

وتتبدى معنا في القراءة هذه كذلك، وظائف الهوية: التي لا تأتي من فراغ أو قيود افتراضية متوهمة ولهذا نرصد او نحدد منها:

يتبع العدد القادم

سينما

فيلم"المباراة"
بين الذاكرة الوطنية والجروح التاريخية

دائمًا ما تحمل مباراة إنجلترا والأرجنتين، طابعًا سياسيًا "بحتًا"، في ظل التوترات السياسية بين البلدين بشأن جزر فوكلاند، والتي تصاعدت إلى حدة الصراع العسكري الذي استمر لمدة 74 يومًا في عام 1982، وأسفر عن مقتل 655 جندي أرجنتيني و255 جندي بريطاني. واليوم يواجه المنتخب الأرجنتيني إحتمال اتخاذ إجراءات تأديبية ضده من قِبل الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، بعدما إحتفل لاعبوه بالفوز على إنجلترا في نصف نهائي كأس العالم في أتلانتا وهم يحملون لافتة تحمل عبارة "لاس مالبيناس أرجنتينية" (فوكلاند أرجنتينية). وتشير الأرجنتين إلى جزر فوكلاند باسم "جزر مالفيناس" .

يستذكر الرياضيون و المشجعون المباريات التي أصبحت جزءا من أسطورة المونديال. مباراة ربع النهائي في 18 يونيو 1986 في مكسيكو سيتي، بين الأرجنتين وإنجلترا . فيلم "المباراة " يتناول قصة تلك المباراة الأيقونية ، التي أقيمت في ملعب أزتيكا خلال كأس العالم لكرة القدم 1986. باستخدام لقطات أرشيفية نادرة ، يجسد الفيلم هذا الحدث كذكرى لا تزال حية، ويقدمه كذروة لأكثر من قرنين من التوترات والصراعات بين البلدين . عرض الفيلم في مهرجان " كان " السينمائي 2026، وتنافس على جائزة العين الذهبية لأفضل فيلم وثائقي .

الجميع يفهم أن كرة القدم، رياضة جماهيرية شائعة جدا ليست بعيدة أبدا عن القضايا السياسية. ولكن تحدي صانعي الأفلام الوثائقية "خوان كابرال وسانتياغو فرانكو"في الربط بين هذ المنازلة التاريخية بين إنجلترا و-الأرجنتين عام 1986 وغزو التاج البريطاني لجزر فوكلاند، إلى جانب أحداث سياسية كبرى أخرى يؤكدان المسارات المتشابك بين الرياضة والسياسة . في فيلم " المباراة"، يعرض كل من"خوان كابرال وسانتياغو فرانكو " أكثر من مجرد سرد قصة قمة كرة القدم العالمية ، بل يقدمان تصادما بين التاريخ والأسطورة والذاكرة، إلى درجة جعل المباراة الشهيرة بين الأرجنتين وإنجلترا عام 1986 قصة فريدة تماما. الفيلم لا يكشف فقط قصة رياضية: بل يبني توقعا، توترا جسديا تقريبا، كل فلاش باك يغير مركز ثقل المباراة قليلا. مع ظهور الأرشيفات وشهادات اللاعبين الذين شاركوا في المباراة، من بينهم الأنكليزي" غاري لينكر" والأرجنتيني "خورخي فالدانو"، والحارس الأنكليزي "بيتر شيلتون ".

يبدو الفيلم عودة إلى منطقة تتشابك فيها المراهنات والسياسة والجراح الوطنية. خلال تسعين دقيقة من ربع النهائي الأسطوري، يكشف الفيلم عن أكثر من قرنين من العلاقات المتوترة بين الأرجنتين وإنجلترا ، ويربط الملعب بالأحداث المحيطة به، من التوترات الاستعمارية إلى حرب فوكلاند ، مما يجعل كرة القدم مسرحا للذاكرة، هذه الطريقة في خلق حوار بين الرياضة والتاريخ تمنح الفيلم الوثائقي إطاراً مميزاً . ثم جاءت نقطة التحول: "يد الله" الشهيرة لدييغو مارادونا . هنا، لا يتم استعادتها فقط، بل تظهر كذروة، لحظة تخرج فيها المباراة من عالم النتيجة الوحيدة لتدخل عالم الأسطورة.

هذه الإيماءة ـ الجرأة، الاستفزاز، الذكاء، الفضيحة. تلخص كل ما أعده الفيلم: التنافس، التوتر، الذاكرة الجريحة، وقدرة كرة القدم المذهلة على خلق الأساطير في اللحظة. يجعلنا الفيلم نشعر أن حركة اليد هـذه ليست محصورة فـي

علي المسعود

هدف مثير للجدل: فهي تقول شيئا عن عالم، وعصر، وتوازن قوى، وخيال جماعي. تصبح رمزا دراميا لقصة تتجاوز المجال بكثير.

بعد أربعين عاما من ربع نهائي كأس العالم بين الأرجنتين وإنجلترا ، يستعرض فيلم "المباراة" المواجهة التي أصبحت أسطورة سياسية بقدر ما أصبحت قمة رياضية. ويحاول هذا الفيلم استعادة قصة شعبية بين الذاكرة الوطنية والجروح التاريخية . على الرغم من أن "المباراة" نادرا ما يتعمق في التفاصيل السياسية لحرب جزر فوكلاند، إلا أنه يتضمن لقطات كافية لقادة البلدين (ليوبولدو جالتيري، مارغريت تاتشر) لتصوير كرة القدم كمعركة بالوكالة يخوضها مشجعون يسعون للتباهي في الفخر الوطني. اللاعبون أنفسهم غارقون في هذا الصراعات السياسية . المخرجان "خوان كابرال" و"سانتياغو فرانكو"، يختاران أن يجعلا هذا الربع النهائي الأسطوري مركز ثقل قرنين من التوترات والصراعات والتنافس الذي يتجاوز إطار الرياضة. وينجحا بإصرار كاف ليبقي حتى من لا يستطيعون التمييز بين التسلل والركلة في حالة ترقب، لأن كرة القدم التي نوصف هنا ليست كما هي اليوم . إنها خرافة تتشكل في طريقها . عن مشروع الفيلم تحدث المخرج "خوان كابرال": أتذكر، كنت عائدا من المدرسة، جدتي أنجيليكا تنتظرني أمام التلفاز. كانت تشاهد مباراة كرة قدم، وهو أمر غير معتاد ، سألتها لماذا؟، قالت: "هذه ليست كرة قدم، خوان إنها كأس العالم. أفضل اللاعبين من كل دولة يلعبون ضد أفضل لاعبين من دولة أخرى. بالنسبة لي، كطفل، كانت فكرة عظيمة: هل يمكننا اللعب معا في جميع أنحاء العالم؟ ، فتح شيئا في رأسي. وبالطبع، كان هناك مارادونا السوبرمان" .

* كاتب عراقي

تتمة ص التالية

"المباراة" الفيلم المبني على كتاب" أندريس بروغو ،" لا يهتم فقط بهذه اللحظات الفريدة. بل من خلال شهادات شخصية وتاريخ جيوسياسي، يكشف هذا الفيلم الوثائقي عن ربع النهائي الأيقوني من خلال وضعه في سياق أكبر وصخب، مما ينتج عنه واحدا من أكثر الأفلام الوثائقية إثارة وسهولة في اللعب على الإطلاق. يبدأ الفيلم الوثائقي بلقطات أرشيفية حيث يكرر اللاعبون بلا كلل أنهم لا يريدون "التورط في السياسة". تفكير متفائل. لكن الفيلم بأكمله يوضح بوضوح استحالة الفصل بين الاثنين. يجمع المخرجان عدة من اللاعبين الذين لا يزالون على قيد الحياة: غاري لينكر، جون بارنز، خورخي فالدانو، خورخي بوروشاغا، أوسكار روجيري، خوليو أولارتيكوشيا، ريكاردو جوستي وبيتر شيلتون. أمامهم، تعرض شاشة صور المباراة بالألوان. عكس القوانين المعتادة: يبدو الماضي أكثر حياة من الحاضر، بينما يظهر اللاعبون السابقون كأشباح يتأملون الأسطورة التي شاهدوها تتكشف أشراقا . الفيلم يغير باستمرار تكوينات النظرة. أحيانا، تعرض لنا مقابلات وصور أرشيفية وأخبار تلفزيونية. في مشاهد أخرى، يشارك اللاعبون الإطار مع الشاشة؛ في لقطات أخرى، ينفصلون عنه، ويصبحون متفرجين لماضيهم ويضاعفون نظرتنا الخاصة . المادة غنية جدا لدرجة أنها تتشتت باستمرار إلى سرديات ثانوية، وغالبا ما تكون لذيذة. حتى التعبير "يد الله" اشارة الى هدف مارادونا الأول باليد يصبح موضوعا للتحقيق. ومن هذا التسلسل ولد ربما أظرف عبارة على الإطلاق: "إذا لم يرها أحد، فهذا ليس غشا". في حين الهدف الثاني مارادونا و الذي يعتبره الكثيرون الأجمل في تاريخ كرة القدم.

\أدخل الإنجليز كرة القدم إلى الأرجنتين لكنهم حاولوا أيضا مرتين غزو البلاد، كما يوضح الراوي. في 2 أبريل 1982، استولت اللجنة العسكرية بقيادة الجنرال فيولا على جزر فوكلاند ، لصالح البريطانيين، متحدثة عن "استعادة أرض طالب بها الأرجنتينيون". بعد غضب مارغريت تاتشر ، اندلعت حرب مميتة بين البلدين. عندما التقى الفريقان في عام 1986 في مكسيكو سيتي، كانت الجروح لا تزال تنزف. يتميز الفيلم الوثائقي بوضع المباراة في هذا السياق الجيوسياسي بالذات. يصبح الفيلم الوثائقي مثيرا جدا عندما يصل الجزء المخصص للمباراة نفسها. "خوان كابرال وسانتياغو فرانك " يكشفان كيف قام مدربو الفريقين، الانكليزي"بوبي روبسون" والطبيب والمدرب الأرجنتيني المذهل "كارلوس سلفادور بيلاردو "بتحضير قواتهم ، مع التركيز على نظام لعب الأرجنتيني وخرافاته واللاعبين الذين استقطبهم ، وأولهم "دييغو مارادونا" لم يكن قد تم اختياره للمنتخب الوطني منذ هزيمة الأرجنتين أمام البرازيل في الدور الثاني من كأس العالم 1982. لم يمنع ذلك بيلاردو من عرض منصب قائد المنتخب الوطني بدلا من دانييل باساريلا. شعاره: التأكد من أن أول عراب لكرة القدم الأرجنتينية قبل" ميسي " .

واحدة من أعظم نقاط قوة الفيلم هي التوازن بين التحليل السياسي والثقافي مع شهادات مباشرة من الرجال الذين عاشوا ذلك. يتم إجراء مقابلات مع لاعبين مثل جون بارنز، بيتر شيلتون، ريكاردو جوستي، خورخي بوروشاغا، غاري لينكر، وآخرين، في محادثات وجلسة جميلة بالأبيض والأسود أثناء مشاهدتهم لقطات أرشيفية من تلك الحقبة، والتي تعود إليهم بألوان زاهية. يعمل التباين بشكل رائع، حيث يثبت المقابلات الاستعادية على التأمل، بينما يسمح للقطات السابقة بأن تبدو فورية وحية . الغوص خلف الكواليس في هذه المباراة الأيقونية، قبل أيام قليلة من انطلاق كأس العالم، يجعلك ترغب في الارتجاف أمام مواجهة من نفس النوع . ينتهي الفيلم بمشاعر قوية لا تزال لدى اللاعبين عندما يرون هذه صورهم مرة أخرى . سيظلون إلى الأبد أول الأبطال في هذه القصة . بالطبع، لا يمكن سرد هذه القصة دون ذكر "دييغو مارادونا". يستعرض الفيلم الوثائقي موهبته الهائلة، والهدفين اللذين بقيا محفورين في تاريخ كرة القدم "يد الله" الشهيرة وهذا الهدف الاستثنائي الذي عبر كامل دفاع إنجلترا ، الذي يشار إليه غالبا ب "هدف القرن" ، كان مارادونا أكثر من مجرد لاعب ، كان رمزا، وفخرا شعبيا، وشخصية مميزة تقريبا في تاريخ البلاد . ما يجعل "المباراة" مشوقا هو كيف أن هيكل السرد يبني الترقب قبل أن يصل حتى عند انطلاق المباراة، يقفز بالزمن باستمرار ويقترب أكثر فأكثر من بداية المباراة، حتى الثواني الأخيرة. يقضي المخرجان "كابرال وفرانكو " وقتا طويلا في فحص ليس فقط اللاعبين ، بل أيضا المدربين: كارلوس بيلاردو وبوبي روبسون، اللذين شكلت فلسفاتهما التكتيكية المختلفة تماما الاستعداد العاطفي والبدني لفرقهما. التفاصيل المحيطة بتحضير الأرجنتين لارتفاع ملعب أزتيكا المكسيكي، وخرافات بيلاردو الغريبة، وحتى الصنع المحموم لقمصان الأرجنتين الزرقاء الفاتحة الأيقونية قبل ساعات قليلة من المباراة، كلها تساهم في الإحساس بأن هذه لم تكن مباراة عادية. بل كانت ملحمة شعبية .

بعد أربعين عاما، لا يزال الرجال الذين شاركوا في هذا اللقاء التاريخي مرتبطين إلى الأبد بما عاشوه معا. تباع قمصان اللعبة الآن بملايين، والنقاش حول المباراة أصبح أكثر اتساعا مع مرور الوقت، والرجال الذين كانوا يقفون على جانبي الملعب يظهرون الآن متشابكي الأيدي في نهاية الفيلم، يلعبون كرة الطاولة معا، متحدين في حبهم المشترك للعبة .

***

إضاءات فكرية

جون غالسورثي...
حين تصبح الرواية مرآةً للملكية والطبقة والإنسان

حين نقترب من جون غالسورثي، لا يكفي أن نراه روائيًا ومسرحيًا إنجليزيًا، ولا أن نضعه ببساطة تحت عنوان الواقعية الاجتماعية، فغالسورثي واحد من الكتاب الذين يصعب فصل أعمالهم عن العالم الذي خرجوا منه الأسرة، والطبقة، والمال، والقانون، والزواج، والملكية، والعدالة، ثم التحولات التي أصابت المجتمع الإنجليزي في أواخر العصر الفيكتوري وبدايات القرن العشرين. ولد في 14 أغسطس 1867 في كينغستون هيل، في أسرة ميسورة، ودرس القانون في أكسفورد قبل أن يترك الطريق إلى المحاماة، ثم بدأ حياته الأدبية بنشر بعض أعماله باسمJohn Sinjohn ، قبل أن ينشر باسمه الحقيقي، وكانت The Island Pharisees سنة 1904 من الأعمال التي كشفت بوضوح مبكر نزوعه إلى نقد النفاق الاجتماعي والامتياز الطبقي. لكن جذور غالسورثي أعمق من الأدب لقد نشأ في عالم كان المال والملكية والمكانة والسمعة العائلية فيه عناصر أساسية من تكوين الإنسان، وكان والده محاميًا ورجل أعمال ذا مكانة، ولذلك لم يكن غالسورثي ينظر إلى الطبقة التي كتب عنها من الخارج كان يعرفها من الداخل، ويعرف لغتها وعاداتها وبيوتها ومخاوفها. ومن هنا تأتي إحدى أهم مفارقات تجربته إنه كاتب ينتقد عالمًا كان جزءًا منه.

لم يأتِ من الهامش ليصف أصحاب الامتياز، بل خرج من عالم الامتياز نفسه، ثم بدأ يفحص قيمه أخلاقيًا وإنسانيًا. ولهذا فإن الواقعية عنده ليست نقلًا فوتوغرافيًا للواقع فالصورة الفوتوغرافية تسجل ما يقع أمامها، أما الروائي فيختار ويرتب ويضع التفاصيل داخل شبكة من العلاقات لكي يكشف معناها. البيت عند غالسورثي ليس أثاثًا، والمال ليس رقمًا، والمكانة ليست مجرد لقب كل ذلك يدخل في تكوين الشخصية. كـان القانون مرحلة مهنيـــة عابرة، لكنه بقي حاضرًا في تكوينه الفكري؛ ترك المحاماة، لكنه حمل معه أسئلة العدالة والقانون والعقوبة والمسؤولية، وسوف تظهر هذه الأسئلة لاحقًا في مسرحياته، وخصوصًا Justice، وفي اهتمامه بالإصلاح الاجتماعي والسجون. ثم تأتي آدا، وهي ليست تفصيلًا عاطفيًا في سيرته، وإنما عقدة تتقاطع فيها الحياة الخاصة والأدب؛ كانت آدا زوجة ابن عمه آرثر غالسورثي، ونشأت بينها وبين جون علاقة استمرت سنوات قبل زواجهما سنة 1905، وكانت بعد ذلك شريكة مهمة في حياته الأدبية، قارئته وسكرتيرته وناقدته، وظلت قريبة من مشروعه الأدبي حتى وفاته، وقد انعكست بعض ظلال هذه التجربة، بصورة فنية لا حرفية، في العلاقات والشخصيات داخل The Forsyte Saga.في ظاهرها، The Forsyte Saga تاريخ عائلة إنجليزية ميسورة تمتد عبر أجيال، لكنها في جوهرها أوسع من ذلك بكثير؛ فالعائلة عند غالسورثي تتحول إلى مجتمع مصغر تستطيع من خلاله الرواية أن تراقب المال والملكية والزواج والفن والطبقة وتحول القيم من جيل إلى جيل. بدأت السلسلة مع The Man of Propertyسنة 1906، ثم اتسعت لاحقًا عبر أعمال أخرى لتشكل تاريخًا عائليًا وروائيًا طويلًا، ولم تكن الساغا مشروعًا مكتملًا في لحظة واحدة، بل نمت تدريجيًا مع عودة الكاتب إلى شخصياته وشبكتها العائلية والاجتماعية، وهذا بحد ذاته يكشف قدرة غالسورثي على بناء الشخصية بحيث تستطيع أن تحمل الزمن، لا أن تنتهي بانتهاء وظيفة واحدة في الحبكة. في قلب هذا البناء يقفSoames Forsyte ، وليس من السهل اختزاله في صفة واحدة إنه رجل ثري، وعضو في طبقة اجتماعية، وزوج، ومالك، وإنسان شديد الحساسية تجاه المكانة ويخاف فقدان السيطرة، لكن أهم ما فيه أن الملكية ليست شيئًا يملكه فقط، وإنما أصبحت طريقة في رؤيته للعالم. ولهذا فإن علاقته بـ Irene تتجاوز الخلاف الزوجي، فالصراع في جوهره يتعلق بالسؤال هل يمكن أن يتحول الحب إلى ملكية؟ وهل يستطيع الإنسان أن يحب من غير أن يحاول امتلاك من يحب؟ هنا لا يكتب غالسورثي مقالًا عن الملكية والزواج، بل يحول الفكرة إلى إنسان. إيرين بدورها لا تحتاج إلى أن تلقي خطابًا عن الحرية، يكفي أن تعيش داخل عالم سومي حتى تكشف التناقض، أما Young Jolyonفيأتي من جهة أخرى الفن، والحرية، والحياة، والابتعاد عـــن بـعض القواعد الجامدة

هاشم معتوق

التي تحكم عالم فورسايت، وهكذا يصبح الصراع بين سومي ويونغ جوليان أكبر من صراع شخصين إنه صراع بين رؤيتين للحياة. وهنا تظهر براعة غالسورثي في هندسة الشخصيات هو لا يبني الشخصية من صفة، بل من شبكة المال، والتربية، والخوف، والرغبة، والطبقة، والماضي، والحاجة إلى الحب، وطريقة النظر إلى الآخرين، ثم يضع هذه العناصر في احتكاك مستمر.

الشخصية عنده ليست جزيرة؛ إنها عقدة في شبكة من العلاقات. فنحن لا نفهم سومي من خلاله وحده، بل من خلال إيرين والعائلة ويونغ جوليان والمجتمع الذي صنعه، وكلما تغيرت العلاقة بين الشخصيات ظهرت طبقة جديدة من شخصياتها، وهنا تصبح الشخصية منتجة للحدث؛ الغيرة تنتج مواجهة، والامتلاك ينتج نزاعًا، والخوف ينتج قرارًا، والقرار ينتج نتيجة، والنتيجة تعيد تشكيل العلاقات. وهذه الصورة تلخص جزءًا مهمًا من فن الرواية وتناسب غالسورثي بصورة خاصة الرواية ساحة حرب مزروعة بالألغام فالروائي الكبير لا يزرع مفاجآت اعتباطية، إنه يزرع مقدماتها ثم يترك القارئ يتقدم، قد يبدو التفصيل عابرًا، وقد تبدو العلاقة مستقرة، وقد يمر قرار صغير كأنه لا أهمية له، ثم يعود أثره بعد صفحات أو سنوات. الدهشة الحقيقية ليست أن يحدث شيء لم نتوقعه فقط، بل أن يحدث ما لم نتوقعه ثم نكتشف أنه كان مهيأ منذ زمن.

وهنا تتفوق الرواية الطويلة على الرواية القصيرة في قدرة الكاتب على تأجيل الانفجار؛ يستطيع غالسورثي أن يضع اللغم في مكان،

نعتذر سقوط سهوا في العدد 130 اسم "هاشم شفيق" بدل اسم الصديق الكاتب المبدع الاستاذ ((هاشم معتوق)) في مقاله أريان منوشكين.. جماليات الاخراج وصناعة الممثل ـ ص 44

تتمة ص التالية

ويترك الزمن يعمل، ثم يفجره في مرحلة أخرى من حياة الشخصية أو العائلة، وهذا هو أحد أسباب أهمية الزمن في The Forsyte Saga الزمن ليس خلفية، بل قوة تعيد تفسير الإنسان وتكشف نتائج أفعاله. ولم يكن المسرح عند غالسورثي فرعًا منفصلًا عن الرواية فقد كان مسرحيًا بارزًا في عصره، وكتب أعمالًا مثل The Silver Box وStrife وJustice وThe Skin Game وEscape، ومع أن الرواية تمنحه مساحة أكبر بكثير، فإن خبرته المسرحية تبدو في طريقته في وضع الشخصيات تحت الضغط، وفي بناء المواجهة، وفي تحويل القضية الاجتماعية إلى صراع حي بين البشر. المسرح يعلّم الكاتب أين يضع الشخصيات تحت الضغط، والرواية تمنحه الزمن الكافي ليرى ماذا يفعل الضغط بها. في المسرح تتواجه المصالح داخل مساحة محدودة، ويتولد التوتر من الحوار والصمت والمواقف، أما الرواية فتسمح له بتمديد هذا الصراع عبر السنوات والأجيال، وهكذا أخذ من المسرح قوة المواجهة، ومن الرواية اتساع الزمن، ولذلك قد تكون آل فورسايت طويلة، لكنها ليست مجرد رواية طويلة، إنها بناء زمني تنتقل فيه آثار القرارات من جيل إلى جيل. وهنا تظهر قيمة المقارنة مع Madame Bovary فلوبير قد يجعل الرواية تبدو سهلة وعفوية، بينما تخفي بنيتها الداخلية هندسة شديدة التعقيد، والتعقيد عنده مختبئ في اللغة ووجهة النظر والسخرية والمسافة بين ما تراه إيما وما يراه القارئ، أما غالسورثي فقد تبدو لغته أوضح، وقد يكون أكثر ميلًا إلى الشرح والتفصيل، لكن تعقيده يتجمع في العلاقات والطبقة والملكية والزمن وتراكم النتائج عند فلوبير نكتشف تعقيد الإنسان من داخل وعيه، أما عند غالسورثي فنكتشف تعقيد الإنسان من داخل المجتمع الذي صنعه. إيما تريد أن تجعل حياتها شبيهة بما قرأته من الأدب، فيتصادم خيالها مع الواقع، وسومي يريد، على نحو مختلف، أن يجعل الحياة قابلة للامتلاك، فيتصادم مفهومه للملكية مع حرية الآخرين، وفي الحالتين لا يقدم الكاتب الفكرة مجردة، بل يجعل الشخصية تحمل الفكرة إلى المصير.

ولغالسورثي ميل واضح إلى الشرح والتفصيل والتعليق الاجتماعي أكثر مما لدى فلوبير، وهذه سمة حقيقية في أسلوبه، لكنه لا يصح أن نختزل فنه في التقرير؛ فالتفصيل لديه قد يكون تفصيلًا بنائيًا البيت يحدد الطبقة، والأثاث يكشف الذوق، والمال يكشف علاقة الإنسان بالعالم، وطريقة الكلام تكشف الموقع الاجتماعي، والمكان يحدد شبكة العلاقات، والعادات تكشف منظومـــة القيم، ومن هنا يصبح الوصف لغة اجتماعية. ولذلك لا يمكن أن نقول إن غالسورثي ينقل الواقع كما تلتقطه آلة تصوير هو يعيد ترتيب الواقع لكي يكشف معناه. ولم يكن غالسورثي سياسيًا حزبيًا يضع برنامجه داخل الرواية، فالسياسة عنده أعمق من الشعارات إنها تظهر في القانون، والطبقة، والملكية، والمرأة، والعمل، والسجن، والزواج. الرجل الذي يملك المال يملك سلطة، والزوج الذي يحول الحب إلى ملكية يمارس سلطة، والقانون الذي يعاقب فردًا قد يكشف بنية اجتماعية أكبر من الفرد نفسه، ولهذا فإن غالسورثي يضع السياسة في السلوك قبل أن يضعها في الكلام. وفي Justice تصبح العدالة والسجن مشكلة إنسانية، وفي Strife يصبح الصراع العمالي مواجهة بين مصالح اجتماعية متعارضة، وفي The Silver Box تظهر العدالة الاجتماعية من خلال مصير أفراد لا من خلال خطاب نظري هنا يتحول الواقع السياسي إلى دراما.

وتظل المرأة في عالم غالسورثي من أهم مناطق اختبار المجتمع فمن خلال Irene وغيرها يسأل الكاتب عن حق المرأة في أن تكون ذاتًا مستقلة لا ملكية عائلية أو زوجية، وتكتسب المسألة قوتها لأنه لا يقدمها باعتبارها شعارًا بل يجعلها أزمة يعيشها الشخص الحب عنده ليس مجرد عاطفة، إنه اختبار للحرية والامتلاك، والزواج ليس مجرد مؤسسة اجتماعية، إنه مكان تظهر فيه بنية السلطة. وكلما اتسعت آل فورسايت تحولت العائلة إلى مرآة لزمن كامل تتغير الأجيال وتتغير معها علاقتها بالمال والفن والزواج والسلطة والحرية، والجيل الجديد لا يبدأ من الصفر، إنه يرث قرارات الجيل السابق كما يرث أمواله وأخطاءه وعلاقاته وأوهامه، وهكذا يصبح التاريخ العائلي نوعًا من التاريخ الاجتماعي. أما Robin Hill فيحتل موقعًا بالغ الدلالة في هذا البناء فالمكان الذي بناه Soames بوصفه ملكية يمكن أن يرمز، على نحو مفارق، إلى شيء لا يستطيع امتلاكه الجمال والحب والحياة الحرة، وهنا يتحول المكان نفسه إلى جزء مـــن الصراع حول معنى البيت والملكية والجمال. وامتد اهتمام غالسورثي إلى الإصلاح الاجتماعي، ومنها قضايا السجون وحقوق الحيوان والعدالة، كما أصبح أول رئيس لـPEN International، وبرز بوصفه شخصية ثقافية عامة إلى جانب إنتاجه الأدبي، وفي 1932 حصل على جائزة نوبل للآداب، التي أشادت بفنه السردي ورأت أعلى مستوياته في The Forsyte Saga ، وتوفي في لندن في 31 يناير 1933 بعد فترة قصيرة من حصوله على الجائزة. وبعد أن نضع كل هذه الأشجار إلى جانب بعضها تبدو صورته أكثر وضوحًا غالسورثي واقعي، لكنه ليس فوتوغرافيًا، اجتماعي، لكنه ليس مجرد صاحب تقرير اجتماعي، واضح الأسلوب، لكنه ليس بسيط البناء، يميل إلى الشرح، لكنه في أفضل أعماله يجعل الشخصيات نفسها تحمل المعنى، وهو مسرحي الحس داخل الرواية لأنه يعرف كيف يضع الشخصيات تحت الضغط، وروائي الزمن لأنه يعرف كيف يترك أثر المواجهة يمتد بعيدًا عن لحظتها، وأهم من ذلك كله أنه مهندس للشخصيات والأحداث والعلاقات. لا يضع الفكرة خارج الإنسان، بل يجعلها جزءًا من تكوينه، ولا يجعل الحدث منفصلًا عن الشخصية بل يستخرجه من دوافعها، ولا يجعل الزمن خلفية بل قوة تكشف الإنسان، ولا يعامل المجتمع كموضوع خارجي بل يدخله في البيت والزواج والمال والقانون والحب ثم يجعل هذه الأشياء تتصارع داخل الفرد. لذلك فإن The Forsyte Saga ليست مجرد حكاية عائلة إنها محاولة واسعة لفهم مجتمع كامل من خلال الإنسان الذي يعيش فيه، وقد يكون هذا هو سر بقاء غالسورثي أنه لم يكتفِ بأن يقول لنا إن الملكية مشكلة، بل جعلنا نرى إنسانًا يتغير لأن الملكية أصبحت جزءًا من روحه ولم يقل إن الطبقة تحاصر الفرد، بل جعلنا نرى كيف تتسلل الطبقة إلى الزواج والبيت والكلام والذوق والمصير. وهنا تصبح الرواية فعلًا تلك الساحة التي تحدثنا عنها ساحة مزروعة بالألغام، لا تكمن قوتها في كثرتها، بل في مواضعها وتوقيتها، وفي اللحظة التي يكتشف فيها القارئ أن ما ظنه تفصيلًا كان جزءًا من هندسة أكبر. وربما لهذا يمكن أن نضع غالسورثي في عبارة واحدة كاتبٌ أخذ من الحياة الإنجليزية مادةً واسعة، ومن المسرح قوةَ المواجهة، ومن الرواية اتساع الزمن، ثم أعاد بناء الإنسان داخل كل ذلك حتى أصبحت الشخصية مرآةً للمجتمع، وأصبح المجتمع امتحانًا للإنسان .

***

الكاريكاتير البغدادي
مختارات هذا العدد - 01 أيلول 2026

مستقبل العراق
الديموقراطية على الطريقة الأميركية

مَنصُور اَلبكْرِي الإنْسان.. رحل بِهدوء إلى السَّلَام الأبَديّ ، لَكِن إبْداعه الفنِّيَّ سيخلِّده

منصور البكري

ولد في 19 يناير 1956 ـ رحل يوم الخميس 4 نوفمبر ـ تشرين الثاني 2021

"صوت الصعاليك" تنشر رسوم الكاريكاتير للفنان الراحل ((منصور البكري)) التي قام بوضعها في ملف خاص للنشر في الصفحة الفنية التي كان يشرف على تحريرها في "صوت الصعاليك" منذ إصدار عددها الأول في 1 يناير 2021... ننشر ما لدينا من رسوم لشخصيات عراقية وعربية وعالمية.